بسم الله الرحمن الرحيم

أعلام التفسير في الجزائر من القرن الثاني إلى القرن العاشر الهجري

ـ العناية بالتفسير تأليفا وتدريسا

الدكتور: مصباح موساوي

الدولة الرستمية الإباضية (161 ـ 297هـ/776 ـ 909م)

أولا ـ المؤسس

يعد عبد الرحمان بن رستم فرخزاد المؤسس الفعلي للدولة الرستمية ويختلف المؤرخون في نسبه فالبكري وابن حزم يرجعان نسبه إلى سلالة ملوك الأكاسرة الساسانيين الفرس، أما ابن خلدون فيرى بأنه من أبناء رستم قائد الجيش الفارسي المشهور في معركة القادسية، أما ياقوت الحموي فيرجعه إلى مولى عثمان بن عفان وهو بهرام أحد أبناء كسرى يزدجرد، وتعود صلة عبد الرحمن بن رستم بالمغرب الإسلامي إلى طوالع الفتوحات الإسلامية حسب ما يرى ابن خلدون، فقد ذهب عبد الرحمن إلى إفريقية وهو طفل فترعرع بالقيروان، وحسب الشماخي فإن عبد الرحمن بن رستم سافر مع أمه إلى القيروان إثر زواجها من رجل هناك بعد أن توفي زوجها رستم بن بهرام.

ثانيا ـ الإقليم

حكمت الدولة الرستمية عدة أجزاء من المغرب الأوسط وإقليم طرابلس ومنطقة الجريد وامتد حكمها إلى غاية قيام الدولة الفاطمية، حيث المناطق التي ينتشر فيها المذهب الإباضي، وامتدادها من حدود جبال تلمسان غربا وانتشار نفوذها إلى إقليم طرابلس وجبال نفوسة شرقا على امتداد 1300 كلم في السهوب وفي واحات جنوب الجزائر، ويصعب تحديد حدود واضحة للدولة الرستمية بشكل دقيق.

ثالثا ـ تاريخ بذور الفكر الخارجي

تعود بذور الفكر الخارجي في المغرب الإسلامي إلى حدود أواخر الخلافة الأموية وبداية العباسيين حيث كان دعاة وعلماء المذهب يتوجهون للمغرب الإسلامي وينشرون دعوتهم[1]، ويحرضون على الخلافة العباسية، وخلالها انتشرت الثورات ضد الحكم العباسي واستقل بعض من ينتمي لمذهب الصفرية في سجلماسة، وانتشر مذهب آخر وهو الإباضية في جبل نفوسة وبعض مناطق المغرب وخلالها نشأت الدولة الرستمية.

---

1 ـ اشتهرت الإباضية ببعض المسائل منها: في العقائد: يقولون بتخليد أصحاب الكبائر في النار، إن لم يتوبوا، وبالولاية للطائع، والبراءة من العاصي، وبجواز التقية في الأقوال لا في الأفعال.
في الفقه: عدم جواز المسح على الخفين كالشيعة الإمامية. عدم رفع الأيدي في تكبيرة الإحرام، أما سبال الأيدي في الصلاة والاقتصار على تسليمة واحدة فهم موافقون المذهب المالكي والزيدي. القول بإفطار من أصبح جنبا في رمضان، عملا بحديث أبي هريرة رضي الله عنه ورأي بعض التابعين. تحريم ذبائح أهل الكتاب الذين لا يعطون الجزية، أو الحربيين أو المعاهدين، والإمامية لا يجيزون أكل هذه الذبائح مطلقا.
كراهة الجمع بين بنات العم خوف القطيعة، وهي كراهة تنزيه.

نشأت الدولة على يد الأمير عبد الرحمن بن رستم الذي فر من القيروان باتجاه تيهرت بالمغرب الأوسط، بعدما طارده الأغالبة العباسيين، حيث توافد عليه مجموعة من العلماء من جميع الأقطار من طرابلس وجبل نفوسة ثم بويع له بالإمامة نظرا لعلمه ومكانته وكان ذلك عن طريق الشورى.

بعد وفاة عبد الرحمن بن رستم ترك الأمر في ستة أشخاص فوقع الاختيار على ابنه عبد الوهاب، هذا الأمر جعل مجموعة من المعارضين للحكم الوراثي الذي لا يرضاه المذهب الإباضي يخرجون على حكم عبد الوهاب وقاد الحركة يزيد بن فندين، وسمي أتباعه بالنكارية، لكن هذه الحركة باءت بالفشل واستتب الأمر لعبد الوهاب الذي بسط نفوذه وسيطرته وعقد تحالفا مع الأمويين في الأندلس ضد الأغالبة العباسيين في إفريقية ، واستمر الحكم في سلالة عبد الوهاب فيما بعد، وازدهرت خلالها التجارة في مدينة تيهرت.

بعد قيام الدولة الفاطمية وقضائها على حكم الأغالبة استولت الجيوش الفاطمية على تيهرت ومناطق نفوذ الرستميين وخلع آخر حكام الرستميين وهو يقضان بن محمد سنة 296هـ ـ 909 م، ففر الإباضيون إلى ورقلة ثم وادي مزاب حيث استقر بهم المطاف.

رابعا ـ قائمة الأئمة:

توالى على حكم الدولة الرستمية أئمة من سلالة رستم فرخزاد[1] (قائد الجيش الفارسي في عهد آخر ملوك الدولة الساسانية يزدجرد الثالث (632-651)) بداية من عبد الرحمان بن رستم عام 776 م ووصولاً إلى يقظان بن محمد عام 909 م.

1 ـ رستم فرخزاد هو قائد الجيش الفارسي في عهد آخر ملوك الدولة الساسانية يزدجرد الثالث (632 - 651). أصله من أرمينيا، وكان يخدم ملك الفرس بإخلاص. كان رستم حكيماً عاقلاً ذا حنكة يرى من خلال الصراعات السابقة. من حكمة رستم انه سئل من قبل أتباعه لماذا العرب لا يهتمون بملبسهم فرد عليه قائلاً: العرب لا يهتمون بالمظهر الخارجي بل يهتمون بالأنساب والأحساب.
خاض معركة مع المسلمين وهي معركة القادسية استمرت ثلاثة أيام بقيادة سعد بن أبي وقاص ﷺ ، ففر رستم وكان فيها مقتله على يد هلال بن علفة التميمي، سنة 15هـ.

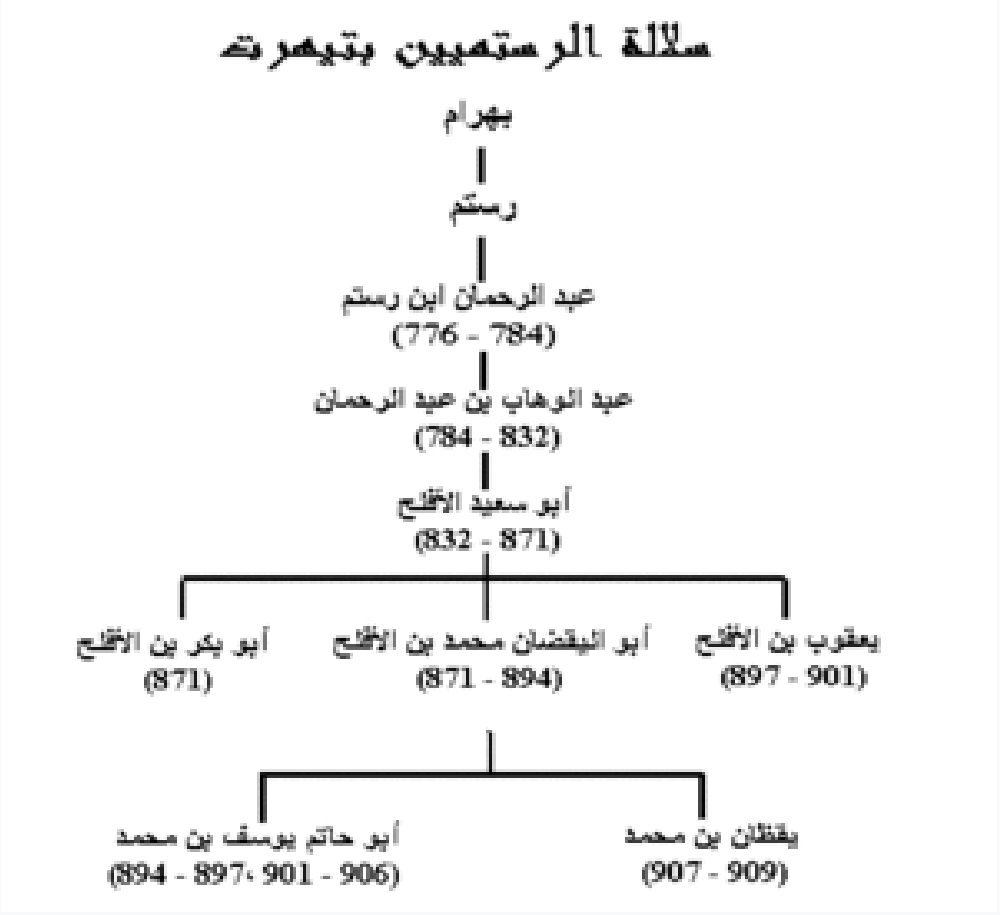

الأئمة الرستميون على حسب تسلسلهم الزمني: سلالة الرستميين بتيهرت

سلالة الرستميين بتيهرت[1]

	الحـــــاكم	الحكم
1	عبد الرحمن بن رستم	784-776
2	عبد الوهاب بن عبد الرحمن	832-784
3	أفلح بن عبد الوهاب	871-832
4	أبو بكر بن الأفلح	871-871
5	محمد بن الأفلح	894-871
6	يوسف بن محمد الحكم	897-894

1 ـ موقع تاريخ الحكام والسلالات الحاكمة الرستميون/بنو رستم فارس الطيب نسخة محفوظة 30 يناير 2018 على موقع واي باك مشين.

7	يعقوب بن الأفلح	901-897
8	يوسف بن محمد الحكم	906-901
9	يقظان بن محمد أبي اليقظان بن أفلح.[1]	293هـ ـ 296هـ 909-906

---

1 ـ تفسير القرآن لعبد الرحمن بن رستم بن بهرام، مؤسس مدينة تيارت.

عبد الرحمن بن رستم مؤسس (**الدولة الرستمية الإباضية 161 ـ 297هـ**) في بلاد المغرب (شمال افريقيا)وتحديدا في المغرب الأوسط (الجزائر) عاصمتها (تيهرت) تسمى تيارت حاليا. اسمه عبد الرحمن بن رستم بن بهرام بن سام بن كسرى، من الفرس وهو أحد تلامذة أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة وإليه تنسب الدولة الرستمية.

بويع له بالإمامة عام 160هـ وقيل 162هـ. وكان لهذا الإمام ابنة تسمى أروى وقد خطبها حاكم الصفرية بـ(سجلماسة) اليسع لإبنه مدرار، وهدف هذا الإمام من هذا الزواج للمذكور توحيد الصلة وتقوية العلاقات بين دولته وبين الصفرية لأن الصفرية كانت قوية إذ كانت تحت حكم حاكم الصفرية ما يعد بعشرات الالوف من المقاتلة الموصوفين بالشجاعة والبسالة. أمل هذا الإمام أن يأتي يوم ما على أولادها إن قدّر الله بحملها وهم على مذهب الاستقامة فيضمهم هو أو من يلي الأمر بعده إليه أو تتوثق علائق الوداد بين المملكتين، فلا يطرقه منهم طارق سوء ولا يأتيه من قبلهم ما يكدر راحته أو يوجب له قلقا أو خللا في داخليته، هذا ولما سيرة هذ الإمام مشهورة بالعدل والاستقامة.

ولما أيقن بدنو الأجل وانقضاء العمر تأسّى بالفاروق عمر بن الخطاب واقتفى أثره اعتناءً منه بشأن الإسلام والمسلمين. فجعل الإمامة شورى بين سبعة رجال ممن تفرّس فيهم الصلاح وما احرزوه من كمال الاقتدار وهم ولده العلامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم والعلامة مسعود الأندلسي وأبو قدامة يزيد بن فندين اليفرني وعمران بن مروان الأندلسي وأبو الموفق سعدوس بن عطية وشكر بن صالح الكتامي والعلامة مصعب بن سدمان وكلهم أعلام في التقوى والصلاح.

وكانت خلافته 11 سنة وكل من هؤلاء السبعة كان يرفض أن يكون الامر له ثم استقر الامر أن يبايعوا ابنه عبد الوهاب بالإمامة.

وكانت ولاية عبد الرحمن بن رستم من عام 160هـ - 171هـ. وأول من بايعه العلامة مسعود الأندلسي والذي كان مرشحا لهذا المنصب فحينما سمع بذلك رفضه ثم بايعه الحاضرون وحملوه إلى دار الإمامة في موكب حافل غصت به طرق المدينة وهناك تمت البيعة له من قبل العامة، وفرح الناس بذلك فرحا كبيرا.

وسار في الناس سيرة حسنة مثل أبيه حتى توفي عام 190 هـ[2].

2 ـ سيرة هود بن محكم صاحب تفسير كتاب الله العزيز

اسمه ونسبه:

هود بن مُحكم الهواري الأوراسي[3] (القرن الثالث الهجري-التاسع الميلادي):

---

1 ـ الفسطاط المجلة التاريخية الخوارج الأباضية الرستمية (شمال إفريقية): 162-297 هـ[وصلة مكسورة] نسخة محفوظة 28 فبراير 2015 على موقع واي باك مشين.

2 ـ ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1985، ص 28 وما بعدها.

3 ـ معجم المفسرين ج2ص713.

مفسر من علماء الإباضية؛ كان والده قاضياً بتهيرت على عهد الإمام أفلح بن عبد الوهاب(190-140ه) عاش هود في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري.

إنه الشيخ هود بن محكم الهواري، ولم تزودنا كتب التاريخ التي بين أيدينا بمعلومات واضحة تزيل اللبس والغموض عن معالم حياة هذا المفسر[1].

الشيخ هود بن محكم مفسر من مفسري القرن الثالث الهجري، قال عنه سماحة الشيخ أحمد الخليلي: " وفي عصر محمد بن جرير الطبري لمع ببلاد المغرب كوكب وقاد من كواكب التفسير... إلى أن قال: وهو من علماء القرن الثالث الهجري وطريقته في التفسير قريبة من طريقة الطبري..".

الشيخ هود بن مُحَكِّم بن هود الهُوَّارِيّ، الإباضي، ولد بجبال أوراس بالقطر الجزائري، تلقى العلم في موطنه الأصلي، فحفظ القرآن الكريم، وتعلم العربية والفقه في حلقات ودروس أبيه العلمية التي كان يعقدها في المساجد، فوالده كان قاضياً عرف بالعلم والورع والتقوى والقوة والصلابة في الدين، وبعد أن تلقى الشيخ هود العلم من أبيه رحل طلباً للمزيد من العلم وحضور مجالس الدروس والمناظرات العلمية والاتصال بالعلماء إلى مركزي العلم والفقه والمعرفة في بلاد المغرب العربي في عصره وهما: مدينة القيروان بتونس، ومدينة تاهرت بالجزائر عاصمة الدولة الرستمية الإباضية التي كانت آنذاك تزخر بنهضة علمية بسبب اهتمام الأئمة الرستميين رحمهم الله تعالى بالعلم والعلماء.

الشيخ هود بن محكم مفسر من علماء الإباضية؛ كان والده قاضياً بتهيرت على عهد الإمام أفلح بن عبد الوهاب(190-140ه) عاش هود في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري.

قال بالحاج بن سعيد شريفي: ((إن كتاب السير والمؤرخين من الإباضية لا يمدوننا بترجمة للشيخ هود تشفي الغليل، فلا حياته مبسوطة في كتبهم، ولا آثاره معروفة لديهم، وكل ما أوردوه عنه إنما هو عبارة عن أخبار يسيرة في أسطر قليلة وردت عرضا في مصدرين أو ثلاثة يكررها خلف عن سلف...))[2].

· نشأته:

في تلك المواطن من جبل أوراس وما يحيط به وفي كنف هذا الوالد الورع التقي القاضي الحازم وتحت رعايته نشأ الشيخ هود بن محكم.[3]

نشأ الشيخ هود بن محكم في قبيلة هوارة البربرية وقد اختلف المؤرخون في بدء أنساب البربر ومما يؤكد ذلك قول المسعودي: " وقد تنازع الناس في بدء أنساب البربر فمنهم من رأى أنهم من غسان وغيرهم من اليمن، وأنهم تفرقوا حول تلك الديار حين تفرق الناس من بلاد مأرب عندما كان سيل العرم ومنهم من رأى غير ذلك"[4].

أما في فترة شبابه فمن المؤكد أنه قد ترك قبيلته هوارة ليتلقى تعليمه في أحد المراكز العلمية التي كانت منتشرة آنذاك في أربعة مدن هي:

- **سبة** حيث دولة بني عاصم الموالية لبني أمية والتي كانت موطن العلماء الكبار.
- **وتاهرت:** عاصمة الدولة الرستمية حيث الجامع المشهور والمدرسة الإباضية ذات الفقه الإباضي المدون باللغة البربرية.

---

1 ـ منهج الشيخ هود بن محكم الهواري في تفسيره (تفسير كتاب الله العزيز) دراسة ونقد، سامي محمود محمد أحمد، رسالة ماجستير، ص4.

2 ـ تفسير الكتاب العزيز، هود بن محكم الهواري (ت: 299هـ)، تحقيق: بالحاج بن سعيد شريفي، دار الغرب الإسلامي.، 7/1.

3 ـ تفسير الكتاب العزيز، 13/1.

4 ـ هود بن محكم الهواري ومنهجه في التفسير، ص 5.

- **والقيروان:** حيث دولة بني الأغلب الموالية للدولة العباسية.

- **وفي سجلماسة** وكانت هذه المراكز خاصة تاهرت والقيروان تشع بأنواع المعرفة عامة، وبالعلوم الدينية خاصة، حيث العلماء والأدباء من مختلف الطوائف الإسلامية والمذاهب الدينية، وكانت مجالس العلم والمناظرة في أوج نشاطها.[1]

· شيوخه :

وأما عن نسبه في الدين وشيوخه الذين جلس إليهم وأخذ عنهم فليس لدينا أي علم بأسمائهم إذا استثنينا أباه محكما وكذلك الأمر بالنسبة لتلاميذه الذين تلقوا العلم عنه أو تربوا على يديه لأن المصادر التي بين أيدينا لم تشر إلى شيئ من ذلك، وحاولت جاهدا أن أجد إشارة إلى بعض شيوخه في ثنايا تفسيره فلم أعثر على أي واحد منهم.[2]

وهكذا كانت طريقة العلم التي تُذكر أوصافها في كتب سير الإباضية، فكثيراً ما كان الشيخ يتنقل بطلبته في بعض فصول السنة إلى البوادي والأرياف، وتتواصل الدراسة هناك في أوقات من ليل أو نهار تحت ظلال الأشجار أو تحت الخيام أو تحت السماء في حياة كلها جد ونشاط وعمل دائب من دروس علمية للخاصة أو مواعظ للعامة، وكتب تؤلف وتستنسخ، ومجالس تنتظم للمناظرة في مختلف العلوم والفنون.[3]

· عقيدة المفسر " هُود بن مُحَكَّم "

بعد أن استعرضنا ترجمة الشيخ هُود بن مُحَكَّم الشخصية والعملية تنتقل للحديث عن عقيدته التي يعتقدها، حيث وافق أهل السنة والجماعة في الوحدانية والنبوات والغيبيات ومع ذلك فقد كان يعتقد بمعتقدات فرقة الإباضية وهي من فرق الخوارج.

· أخباره :

- قال البدر الشماخي: ((ومنهم هود بن محكم الهواري، وتقدم الكلام على أبيه، وهو عالم متفنن، غائص، وهو صاحب التفسير المعروف، وهو كتاب جليل في تفسير كلام الله، لم يتعرض فيه للنحو والإعراب، بل على طريقة المتقدمين))[4].

- ((وذكر الشيخ ميمون بن حمودي أن هود بن محكم الهواري جاءه رجل من العزابة يستعين به على ما يفك كتبا مرهونة له عند رجل من النكار في خمسة دنانير، فدعا هود بن محكم رجلا فقال له: سر مع هذا الرجل إلى مواطن مزاته، فجاءهم وأخبرهم القصة، وتسارعوا فيما يصنعون له، ويجمعون له من الأموال، فبسطوا بساطا، فطفق الرجال والنساء يرمون فيه الدنانير والدراهم وما أمكن كل واحد منهم ، فجمع من ذلك مالا كثيرا، فلموا أطراف البساط فرفعوه، فأتوا به هود بن محكم، فعمد الرجل صاحب الكتب إلى الخمسة دنانير فأخذها وترك الباقي[5].

· نبذة عن كتابه (تفسير الكتاب العزيز):

لقد ظل هذا التفسير أكثر من أحد عشر قرنا منسيا مغمورا إلى أن ظهرت مخطوطاته المتفرقة في بعض الخزائن الخاصة، وهي خزائن لعلماء القرون الأربعة الأخيرة يحتفظ بها أبناؤهم وحفدتهم.

إن المصادر الإباضية القديمة هي وحدها التي أشارت إلى وجود هذا التفسير وذكرته بصفة موجزة جدا، وهي تتفق بشأنه على أمور ثلاثة:

- أولها: صاحب هذا التفسير هو الشيخ هود بن محكم الهواري.

---

1 ـ هود بن محكم الهواري ومنهجه في التفسير، ص 6.
2 ـ تفسير الكتاب العزيز،1/ 17.
3 ـ هود بن محكم الهواري ومنهجه في التفسير، ص 6.
4 ـ تفسير الكتاب العزيز،1/ 16.
5 ـ تفسير الكتاب العزيز، 1/ 17.

- ثانيها: أثبتت كتب السير والتاريخ اسم المؤلف في الطبقة السادسة من العلماء، وهم الذين عاشوا في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي.

- ثالثها: ينتسب هذا العالم إلى قبيلة هوارة البربرية التي كانت تسكن بطون منها ولا تزال، جبال أوراس ونواحيها، بغرب إفريقية الإسلامية بلاد الجزائر الآن.

وهكذا يعتبر الكتاب من التفاسير الأولى التي ظهرت في عهد التدوين عندنا، وهو فيما أعلم أقدم تفسير جزائري وصل إلينا كاملا[1].

كتابه في التفسير وملامح منهجه:

ترك الشيخ هود رحمه الله تفسيراً كاملاً للقرآن الكريم سماه " تفسير كتاب الله العزيز "، وقد ظل هذا التفسير أكثر من أحد عشر قرناً مغموراً غير معروف، إلى أن ظهرت مخطوطاته في بعض الخزائن الخاصة في وادي ميزاب بالجزائر، هذا التفسير مختصر من تفسير الإمام يحي بن سلام، وقد حقق تفسير الهواري الباحث الجزائري: الحاج بن سعيد شريفي، ونشرته له دار الغرب ـ بيروت ـ لبنان ـ سنة 1410هـ ـ 1990 م، يعتبر تفسير الشيخ هود من التفاسير الأولى التي ظهرت في أوائل عهد التدوين، وبدايات عصر التأليف، وهو يقع في أربعة مجلدات:

المجلد الأول: يبدأ من أول المصحف من سورة الفاتحة وينتهي بآخر سورة الأنعام.

والمجلد الثاني: يبدأ من أول سورة الأعراف وينتهي بآخر سورة الكهف.

والمجلد الثالث: يبدأ من أول سورة مريم وينتهي بآخر سورة الصافات.

والمجلد الرابع والأخير: يبدأ من أول سورة ص إلى آخر سورة الناس.

وقد اكتشف المحقق لهذا التفسير وهو بالحاج بن سعيد شريفي صلة قائمة ووثيقة بين تفسير الشيخ هود وبين تفسير أبي زكريا يحي بن سلام البصري فقال: " لقد أخذ المتأخر كثيراً من المتقدم، ونقل عنه، ولكل منهما فضل وأجر"، واستفادة المتأخر من المتقدم لا غضاضة في ذلك، فقد جرت سنة الله تعالى بين المؤلفين عموماً أن يأخذ اللاحق من السابق، وأن يستفيد المتأخر من المقدم، ولكل منهم طريقته وأسلوبه، ولمساته وإضافاته، وملامحه منهاجه. و تتجلى إضافات الشيخ هود في زيادات يضيفها لإيضاح المعاني الغامضة، أو لإبطال الشبهات، أو لإسناد رأي إلى صاحبه، ويظهر هذا خاصة في تفسير آيات الأحكام، وهي زيادات مهمة تدل على فقهه الواسع، وإدراكه العميق لأسرار التشريع.

فالشيخ هود وإن كان قد استفاد من تفسير ابن سلام ونقل منه، إلا أنه لو يواصل السير وفق خُطى ابن سلام باستمرار، فهو لم يسلم له بكل ما يقوله، ولم يوافقه في كل ما يراه، بل كان يخالفه فيما لا ينسجم مع ما تعلمه الشيخ هود، وكان أيضاً يعارضه فيما لا يتفق مع ما آمن به ويعتقد صوابه. والشيخ هود بهذا المنهج والموقف يضيف من علمه ما يراه صحيحاً، ويبرز من معارفه ما يرى فيه نفع وفائدة علمية. ومنهج الشيخ هود في التفسير يقوم على تتبع آيات الكتاب العزيز آية آية، فيذكر سبب نزول الآية إن وجد، ثم يذكر إن وجد ما يناسب هذه الآية، وما له صلة بها من الآية أو الآيات المشابهة. وهو بهذا يعتمد القاعدة الأساسية وهي " تفسير القرآن بالقرآن " وقد التزم بهذه القاعدة العلمية المهمة الصائبة السديدة في تفسيره وهذا ما يحسب للشيخ هود رحمه الله، فإن أصح طريقة لتفسير القرآن إنما يكون بالقرآن نفسه؛ لآن الله تعالى هو أعلم وأدرى بمراد ومعنى كلامه يقول الله تعالى: { الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير } سورة هود 1. ثم يذكر الأحاديث النبوية التي تبين معنى الآية، وتوضح معناها، وتعين على فهمها، وتساعد على المراد منها. وتفسير القرآن بالسنة النبوية هي

1 ـ تفسير الكتاب العزيز، 1/ 17.

الطريقة الثانية لتفسير القرآن الكريم، وهذا ما يحسب للشيخ هود أيضاً؛ فالنبي ﷺ هو لا ريب أعلم الناس بمراد كلام الله عز وجل، يقول الله تعالى في شأن النبي ﷺ : (وما ينطق عن الهوى* إنه إلا وحي يوحى) سورة النجم الآيتان"3-4"، ويقول عز وجل في آية أخرى: (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) سورة النحل الآية"44"، إلا أن الشيخ هود لا يذكر غالباً أسانيد رواة الأحاديث، ويكتفي بذكر الصحابي الذي روى الحديث.

وبخصوص موقف الشيخ هود من القراءات فهو يذكر إذا كان للآية قراءتان أو أكثر، ويشير إلى مدلول كل قراءة من غير تعمق في المناقشة، ومن غير غوص في التحليل والتعليل. ومن هذا ندرك أن منهج الشيخ هود في التفسير يقوم ويعتمد على المأثور، وفي ضوء هذا يمكننا القول إن تفسير الشيخ هود من أقدم ما وصل إلينا من كتب التفسير بالمأثور.

· أهمية كتابه التفسير عند الإباضية:

يعد كتاب التفسير للشيخ هود من المراجع المهمة للإباضية في التفسير، بل جزءاً من عقيدتهم وتراثهم إذ تم جمعه وتأليفه في القرن الثالث الهجري، وهو القرن الذي عاش فيه المفسر، وقد بين ذلك محقق التفسير بالحاج بن سعيد شريفي، حيث قال: " لقد بحثت في أغلب المصادر الإباضية التي وصلتنا حتى الآن وقارنت بينها فوجدت أنَّ أقدم مصدر أشار إلى تفسير الشيخ هود الهواري هو كتاب السيرة وأخبار الأئمة لأبي زكريا، هذا ما جاء فيه: وذُكر أن رجلين اختصما على تفسير هود بن محكم الهواري، حتى بلغ تشاجرهما قبيلتيهما، وكادت الثورة تقوم بينهما، وتصافَّ الفريقان، وكاد الشر يقع بينهم، فلما رأى ذلك أبو محمد جمال نزع المصحف (التفسير) من بينهم فقسمه نصفين، فوافق قرطاساً بين النصفين لم يُكتب، وأعطى لكلٍّ نصفاً وزال الشر واصطلحوا"[1].

· نماذج من تفسيره:

- **من منهجه الإيجابي في تفسيره:** أنه كان يستشهد بأقوال الصحابة والتابعين:

قال تعالى : ((قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث...)):

قال: ذكروا عن ابن عباس: لا ذلول: لا يحرث عليها. ولا تسقي الحرث: لا يسقى عليها[2].

- **ومن منهجه السلبي في التفسير:** أنه كان يكثر النقل عن الكلبي والسدي المشهورين بالتدليس: ((أفرأيتم اللات والعزى*ومناة الثالثة الأخرى))، قال: قال الكلبي: كان النبي عليه السلام يصلي في البيت والمشركون جلوس، فقرأ: ((والنجم إذا هوى)) فحدث نفسه، حتى إذا بلغ ((أفرأيتم اللات والعزى*ومناة الثالثة الأخرى)) ألقى الشيطان على لسانه: فإنها من الغرانيق العلى – يعني الملائكة – وإن شفاعتهم لترتجى[3].

· وفاته:

وأما عن سنة وفاة الشيخ هود فلم تذكر أيضا بالتحديد في أي مصدر وأقدر أنها كانت في العقد الثامن أو التاسع من القرن الثالث الهجري أي حوالي سنة مائتين وثمانين، فإن كل من ذكره من المؤرخين وكتاب السير يؤكد أنه من علماء الطبقة السادسة (250-300)[4].

1 ـ هود بن محكم الهواري ومنهجه في التفسير، ص 14.
2 ـ هود بن محكم الهواري ومنهجه في التفسير، ص 18.
3 ـ هود بن محكم الهواري ومنهجه في التفسير، ص 24.
4 ـ تفسير الكتاب العزيز، 1/ 17.

ثانياً: عصر الدولة الأغلبية في المغرب الأدنى (184-296هـ/800-909م) ودولتي الخوارج (المدرارية ، الرستمية) في المغرب الأوسط، ودولة الأدارسة في المغرب الأقصى:

لقد شهدت الجزائر في هذه الفترة، حينما كانت تنعت بالمغرب الأوسط، تأسيس الصفرية دولتهم المدرارية بسجلماسة(140-297هـ)؛ وتأسيس الإباضية دولتهم الرستمية بتيهرت الجديدة(161-297هـ) وانشغلت الدولتان ببناء كيانها وتعمير أراضيها فشهدت الفترة هدوءً وسلما مع الدولة الأغلبية إلا قليلاً من المحاولات الفاشلة، وعاش المغرب الأقصى أوضاعه المتقلبة حتى جاء يحيى بن إدريس وكان رجلاً صالحاً حافظًا للحديث، وفي أيامه اختط عبيد الله الباطني المهدية وفرض سلطانه على المغرب الأقصى، فكانت نهاية دولة الأدارسة الأولى.

وكان النشاط العلمي يتزايد في الدولة الأغلبية مع حرصهم وميلهم إلى مذهب أبي حنيفة، حتى وصل بهم الحد إلى تعيين القضاة الحنفية، وجاءت بدعة خلق القرآن، وامتحن بها العلماء وكانت لهم مواقف مشرفة كموقف سحنون مع بعض ولاة الأغالبة ممن تبنى منهج الاعتزال كما تبناه أيضاً بعض حكام الأدارسة؛ ووصل الأمر إلى تدريس نظرياتهم في مسجد عقبة إلا أن علماء السنة قاوموا هذا الفكر بقوة وصدرت المؤلفات والفتاوى حتى زال بالكلية من إفريقية، بعد قيام دولة بني عبيد.

أما الإباضية والصفرية فكان لهم نشاط، ودليل ذلك ما شهده جامع عقبة من عقد حلقاتهم العلمية إلى جانب المعتزلة وكان ذاك لمدة نصف قرن من العهد الأغلبي حتى جاء الإمام سحنون فشرّدهم.

وخلاصة القول أن النشاط العلمي كان لكل فرقة، حيث اهتموا بنشر أفكارهم ودعوة الناس إليها، وظهرت الردود السنية وانتشر العلم، **فصنف يحي بن سلام (ت200هـ)** جامعه في الحديث وتفسيره، الذي يعتبر من التفاسير الأثرية، ولذلك عظم شأنه بين الطلبة.

وهذه المكانة دفعت العلماء إلى الاشتغال به وتدريسه واختصاره، ففي بلاد الأندلس اختصره عالمان:

- ابن أبي زمنين (ت 398هـ).

- وأبو المطرف القناعي عبد الرحمن بن مروان (ت 314 هـ)، واختصاره مفقود.

- **كما اختصره ثالث وهو: هود بن محكم الهواري (ت 380هـ)**، قاضي الإباضية في قبيلة (هوارة) البربرية في الجزائر.

ورتب الإمام سحنون المدونة وذيّل مسائلها بالأحاديث، وصنف محمد بن سحنون شرحاً على الموطأ وكثرت المصنفات في الرد على المعتزلة مثل كتاب الحجة على القدرية لمحمد بن سحنون وكتاب الاستواء لسعيد بن الحداد وغيرهما.

ثالثاً: عصر الشيعة الإسماعيلية (296-362هـ/909-973م)، وقيام دولة الأدارسة الثانية في المغرب الأقصى

ينتمي العبيديون إلى الطائفة الإسماعيلية من الرافضة، وهم القائلون بإمامة إسماعيل بعد أبيه جعفر الصادق، رغم اتفاق أهل التاريخ على وفاة إسماعيل في حياة أبيه ويعتبرون أن عبيد الله صاحب إفريقية رابع أئمتهم المستورين، وهم يلقبون بالباطنية والرافضة والملاحدة، لما في مقالتهم من الإلحاد كما سموا بالمشارقة لقدومهم من المشرق.

أما الحياة العلمية في هذه الفترة، فقد عاشت حياة الاضطهاد، تحت حكم الإسماعيلية بإفريقية والمغرب ستاً وثمانين سنة، وقد مارسوا فيها جهودهم ضد الدعوة السنيّة، وراحوا في نشر بدعهم بجميع الوسائل، وقمع وإماتة السنّة بحقدهم، لكن رغم الظلم العظيم والضيق الشديد، كان أهل السنة من المحدثين والفقهاء بالمرصاد، رغم منعهم من التدريس في المساجد، ونشر العلم والاجتماع بالطلبة، فكان يأتيهم الطلاب على خوف وريبة، فكان الموطأ يقرأ في البيوت سراً، وكان بعض العلماء يخرج إلى المقبرة فيستتر فيها ويقرأ على الطلبة سراً.

لكن لم يكن للتفسير حظٌ كبيرٌ في هذه الفترة، التي كانت شديدة على أهل السنة، وذاك لما ارتكبه العبيديون في الشمال الإفريقي من الجرائم، ونلخصها فيما يلي ليُعرف شرُهم ومكرهم عبر التاريخ؛ وهذه صفحات منه[1]:

1. لقد اضطُهد العلماء وامتحنوا في عهد عبيد الله؛ قال محمد بن خراسان: لما وصل عبيد الله إلى رقادة، طلب من القيروان ابن البردون، وابن هذيل، فأتياه وهو على السرير، وعن يمينه أبو عبد الله الشيعي، وأخوه أبو العباس عن يساره، فقال: أتشهدان أن هذا رسول الله؟ فقالا بلفظ واحد: والله لو جاءنا هذا والشمس عن يمينه والقمر عن يساره يقولان: إنه رسول الله، ما قلنا ذلك، فأمر بذبحهما[2].

وابن بردون هو الذي حلاه الذهبي بقوله: "الإمام الشهيد المفتي، أبو إسحاق، إبراهيم بن محمد بن البردون الضبي مولاهم الإفريقي المالكي، تلميذ أبي عثمان بن الحداد"[3].

2. لقد كان شعراء الدولة العبيدية يمدحون خلفاءهم إلى درجة الكفر البواح وينشرونها بين الناس، وقد ظهر ذلك في شعر ابن هانئ الأندلسي في مدحه للمعز وكان أحد شعرائهم.

3.شنوا حربًا نفسية على أهل السنة وذلك بتعليق رؤوس الأكباش والحمير على أبواب الحوانيت والدواب، وكتبوا عليها أسماء الصحابة، (لعنهم الله أنى يؤفكون)، وأظهروا سب الصحابة، وطعنوا فيهم وزعموا أنهم ارتدوا بعد النبي -- وخصصوا دعاة للنداء بذلك في الأسواق.

4. عمل العبيديون على إزالة آثار بعض من تقدمهم من الخلفاء السنيين؛ ولذلك أصدر عبيد الله أمرًا بإزالة أسماء الحكام الذين بنوا الحصون والمساجد، وجعل اسمه بديلاً منهم، واستولى هذا الرافضي الخبيث على أموال الأحباس وسلاح الحصون، وطرد العُبّاد والمرابطين بقصر زياد الأغلبي وجعله مخزنًا للسلاح.

---

1 ـ صفحات من التاريخ الإسلامي - الدولة الفاطمية - (1 / 68-72).
2 ـ سير أعلام النبلاء - (14 / 216).
3 ـ نفس المصدر - (14 / 215).

5.حرص العبيديون على منع التجمعات خوفًا من الثورة والخروج عليهم؛ ولذلك جعلوا بوقًا يضربونه في أول الليل، فمن وجد بعد ذلك ضرب عنقه، كما أنهم كانوا يفرقون الناس الذين يجتمعون على جنازة من يموت من العلماء.

6. أتلفوا مصنفات أهل السنة، ومنعوا الناس من تداولها كما فعلوا بكتب أبي محمد بن أبي هاشم التجيبي (ت 346هـ) الذي توفي وترك سبعة قناطير كتب، كلها بخط يده، فرفعت إلى سلطان بني عبيد فأخذها ومنع الناس منها كيدًا للإسلام وبغضًا فيه.

7. حرَّموا على الفقهاء الفتوى بمذهب الإمام مالك، واعتبروا ذلك جريمة يعاقب عليها بالضرب والسجن أو القتل أحيانًا، ويعقب ذلك نوع من الإرهاب النفسي، حيث يدار بالمقتول في أسواق القيروان وينادى عليه: «هذا جزاء من يذهب مذهب مالك»، ولم يبيحوا الفتوى إلا لمن كان على مذهبهم كما فعلوا بالفقيه المعروف بالهزلي «أبو عبد الله محمد بن العباس بن الوليد» المتوفى عام (329هـ).

8. منعوا علماء أهل السنة من التدريس في المساجد، ونشر العلم، والاجتماع بالطلاب، فكانت كتب السنة لا تقرأ إلا في البيوت خوفًا من بني عبيد، فكان أبو محمد بن أبي زيد، وأبو محمد بن التبان وغيرهما، يأتيان إلى أبي بكر بن اللباد، شيخ السنة بالقيروان في خفية، ويجعلان الكتب في أوساطهما حتى تبتل بالعرق خوفًا من بني عبيد.

9. أجبروا الناس على الدخول في دعوتهم فمن أجاب تركوه، وربما ولوه بعض المناصب، ومن رفض قُتل، كما فعلوا عقب أول جمعة خطبها عبيد الله بالقيروان، وقعت بين الدولة العبيدية وأهل القيروان مقتلة عظيمة، فأمر الشيعي بالكف عن العوام، وافتعل مناظرات صورية، فدارت على علماء السنة محن عظيمة، وقتل منهم عدة آلاف بسبب تمسكهم بإسلامهم ودفاعهم المستميت عن السنة، قال القابسي: «إن الذين ماتوا في دار البحر - سجن العبيديين - بالمهدية من حين دخل عبيد الله إلى الآن أربعة آلاف رجل في العذاب، ما بين عالم وعابد ورجل صالح.

10. زادوا في الأذان: «حي على خير العمل»، وأسقطوا من أذان الفجر «الصلاة خير من النوم»، ومنعوا الناس من قيام رمضان، وليس شيء أشد على بني عبيد من هذه الصلاة، ومنعوا صلاة الضحى، وقدموا صلاة الظهر لفتنة الناس، أما خطبة الجمعة فقد أظهروا فيها سب الصحابة وضروبًا من الكفر، فتركها الناس، وأقفرت المساجد في زمانهم.

إلى غير ذلك مما فعلوه بأهل السنة، -رحم الله أعلام السنة وقدس أرواحهم- واللعنة على العبيديين-.

رابعاً: دولتا بني زيري أو الدولة الصنهاجية(362-449هـ/973-1057م)، ودولة بني حماد بالمغرب الأوسط ودولة الأدارسة الثالثة بالمغرب الأقصى

لقد تغيرت الأوضاع ووقع الخلاص نهائيا من أتباع العبيديين، على عهد آخر أمراء صنهاجة بالقيروان وهو المعز بن باديس(407-449هـ) حيث شهدت الحياة العلمية عصرها الذهبي وعادت بصفة رسمية، الحظيرة إلى أهل السنة والجماعة بعد اضطهادهم والكيد منهم، فبدأت تتكون الشعلة العلمية، مع بعض الرواسب الباطنية التي كان لها الأثر في ظهور التفسير الباطني، والاتساع في مجال التأويل الفاسد، الذي ساعد أرباب الصوفية، في تقديس شيوخهم ورفعهم منزلة لا تليق إلا بالله والملاحظ أنه منهج مقتبس من التفاسير الباطنية الإسماعيلية الرافضية.

---

3 . أحمد بن علي بن أحمد الباغاني، الربعي، الأندلسي (أبو العباس) مقرئ (345- 401 هـ/957 - 1011م):

أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن عبد الله الربعي الباغاني المقرىء، يكنى: أبا العباس.

قدم الأندلس سنة ستٍ وسبعين وثلاث مائة. وقدم إلى الإقراء بالمسجد الجامع بقرطبة واستأدبه المنصور محمد بن أبي عامر لابنه عبد الرحمن، ثم عتب عليه فأقصاه، ثم رقاه المؤيد بالله هشام بن الحكم في دولته الثانية إلى خطة الشورى بقرطبة مكان أبي عمر الأشبيلي الفقيه على يدي قاضيه أبي بكر بن وافد، ولم يطل أمده.

وكان: من أهل الحفظ والعلم والذكاء والفهم، وكان في حفظه آيةً من آيات الله تعالى، وكان بحراً من بحور العلم، وكان لا نظير له في علم القرآن قراءاته وإعرابه، وأحكامه، وناسخه ومنسوخه. وله كتابٌ حسن في أحكام القرآن نحا فيه نحواً حسناً وهو على مذهب مالك.

روى بمصر عن أبي الطيب بن غلبون، وأبي بكر الاذفوي وغيرهما، قال ابن حيان توفي يوم الأحد لأحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة إحدى وأربع مائة مع أبي عمر الإشبيلي في عام واحد، قال أبو عمرو: ومولده **بباغا** في سنة خمس وأربعين وثلاث مائة[1].

1 ـ معجم المفسرين ج1ص 49.الصلة - (1 / 28) وينظر: معجم المؤلفين - (1 / 316).

خامساً: عصر المرابطين والموحدين(434-668هـ/1043-1270م):

المرابطون هم الملثمون الذين ينتمون إلى قبيلة لمتونة من أعظم قبائل البربر من بطون صنهاجة، وبدأت دعوتهم على يد الفقيه المالكي عبد الله بن ياسين وزعيم قبيلة جدالة الأمير يحي بن إبراهيم الجدالي، إلى أن وصلت على يد يوسف بن تاشفين وقد أحكم قبضته على المغرب الأقصى، واعتبر هو المؤسس لدولة المرابطين، وراح إلى الأندلس لمواجهة النصارى حتى توفاه الله، وتولى ابنه علي بن يوسف تاشفين الذي سار سيرته، وكان لانتصاراته صدى في المغرب العربي.

وفي أثناء ذلك ظهر محمد بن تومرت، والذي نشأ نشأة دينية، بحيث طلب العلم ورحل إلى الأندلس، ثم إلى المشرق، وعند رجوعه إلى المغرب التقى بالمدعو عبد المؤمن بن علي الذي صحبه وحفظ عنه تعاليم الدين، والذي أصبح فيما بعد المؤسس الحقيقي لدولة الموحدين، بعد سقوط دولة المرابطين في مراكش سنة(541هـ)، والذي أحكم قبضته على المغرب الأقصى ثم توجه إلى المشرق حيث توالت انتصاراته حتى وصل إلى طرابلس ونجح في تحقيق وحدة سياسية للمغرب الإسلامي، وأتم الانتصارات بعد وفاته سنة(558هـ) ولدُه يوسف بن عبد المؤمن الملقب بمنصور الذي بلغ أوج ازدهار دولة الموحدين، وذاك لما حققه في الأندلس في معركة الأرك التي أوقفت زحف النصارى وزادت من هيبة الموحدين، وبذلك ازدهرت الحياة الاقتصادية والاجتماعية.

أما الحياة العلمية، فشهدت تكريما لطلاب العلم يفوق الوصف خاصة في دولة الموحدين، وأصبح للعلماء والقضاة شأن عظيم حتى في النفوذ خاصة في دولة المرابطين، وتعود تلك الأسباب، إلى أساس قيام الدولة، حيث أسست ركائزها على مبدأ ديني إصلاحي، لذلك شهدت هذه الفترة إنتاجا علميا كبيرا، خاصة في مجال الدراسات القرآنية، حيث انتشرت الكتاتيب وزاد حفاظ كتاب الله الكريم، وأصبحت الحاجة ماسة لتفسير هذا الكتاب العظيم، كما شهد تفسير ابن عطية(ت541هـ) اهتماما لا مثيل له عند المغاربة.

أما في المغرب الأوسط ولأول مرة تظهر نجوم من العلماء وبالخصوص في علم التفسير، وذلك راجع للاستقرار وطول حكم الدولة التي اعتنت بالعلماء، فظهر في الجزائر من المفسرين: يوسف بن إبراهيم بن مياد السدراتي الورجلاني أبو يعقوب (ت 570 هـ)؛ وحسن بن علي بن محمد المسيلي أبو علي (ت 580 هـ)؛ وعلي بن عبد الله بن ناشر أبو بكر وقيل أبو الحسن الوهراني (ت 615هـ)؛ و أحمد بن علي بن يوسف تقي الدين البوني (ت622 هـ)؛ و يحي بن محمد بن يوسف التجيبي، التلمساني أبو زكريا(ت 652 هـ).

وحين ضعفت دولة الموحدين، وأوشكت نهاية عهد الدولة الشاسعة، بحيث انقسمت إلى ثلاثة دول إسلامية، ظلت تتنازع فيما بينها وتحاول كل واحدة منها التوسع على حساب جارتها، وهي: الدولة الحفصية في المغرب الأدنى، والدولة الزيانية في المغرب الأوسط، والدولة المرينية في المغرب الأقصى.

ومنذ ذاك الحين اعتبر المغرب الإسلامي الكبير منقسما إلى ثلاث دول لكل منها تاريخه المستقل تونس، الجزائر والمغرب ويتبعها موريتانيا.

وفي هذا البحث نقتصر على تاريخ الجزائر والحياة العلمية فيها، والذي تأثر في المجال العلمي، بالأدوار السابقة والتقلبات التي حصلت في منهجه ومصادره، والتي كانت تتأثر بدورها بالتقلبات السياسية، ولم تمس هذه التقلبات من كان راسخاً في

العلم متبعاً لمنهج النبوة على طريقة السلف الصالح، والملاحظ على الساحة العلمية تأثر العلماء بالإباضية التي لا تزال بقايا رواسبها، ومنهج الباطنية الذي أفسد منهج التصوف وأخرجه من إطاره الأخلاقي إلى الإطار العقدي، المخالف لما كان سائدا في المنطقة أول الأمر وهو منهج الإمام مالك في العقيدة والسلوك، منهج أحد أعيان القرون الثلاثة المفضلة.

ونقتصر الآن على دولة بني زيان ثم الأتراك بعدهم ثم الاحتلال الفرنسي ثم الاستقلال المُشرق للجزائر.

---

4 . يوسف بن إبراهيم بن مياد السدراتي الورجلاني أبو يعقوب[1] (500 - 570 هـ/1106- 1175م):

مؤرخ مفسر أصولي متكلم، رياضي من أكابر فقهاء الإباضية، من أهل ورجلان مولدا ووفاة. رحل في شبابه إلى الأندلس وسكن قرطبة طلبا للعلم. شبهه الأندلسيون بالجاحظ.

نسبة إلى ورجلان أحد أودية المغرب الأقصى.

ذكره الذهبي في التفسير والمفسرون[2] في معرض ذكر علماء الإباضية في التفسير.

من آثاره:

•تفسير القرآن الكريم في سبعين جزءاً، قال البرادي: " رأيت منه في بلاد ريغ سفراً كبيراً لم أر، ولا رأيت قط، سفراً أضخم منه ولا أكبر منه.."اهـ.

• العدل والإنصاف في أصول الفقه في ثلاثة أجزاء.

• الدليل والبرهان في عقائد الإباضية في ثلاثة أجزاء(وهو: الدليل لأهل المعقول لباغي السبيل بنور الدليل - في عقائد الإباضية طبع حجر مصر 1316 في ثلاثة أجزاء.

•مرج البحرين في المنطق والهندسة والحساب.

•القصيدة الحجازية، نظم فيها رحلته إلى الحجاز.

•المغرب في تاريخ المغرب.

•الجامع الصحيح، وهو عبارة عن مسند الربيع بن حبيب بن عمرو الأزدي البصري، رتبه وله نظم.

5 . حسن بن علي بن محمد المسيلي، أبو علي[3] (...- نحو 580 هـ / .... - نحو 1185م):

فقيه، من أهل بجاية ولي قضاءها مدة وتوفي بها. ونسبته إلى (مسيلة)،وكان معاصرا للفقيه عبد الحق الاشبيلي، كما كان ينعت بأبي حامد الصغير، تشبيها له بأبي حامد، الغزالي، من مصنفاته:

•التفكر فيما تشتمل عليه السور والآيات من المبادئ والغايات، (على نسق إحياء علوم الدين).

•التذكرة (في أصول علم الدين).

• والنبراس في الرد على منكر القياس.

---

1 - ينظر: معجم المفسرين 735/2؛معجم المؤلفين - (13 / 267 ص 268)؛ معجم المطبوعات - (2 / 1914). معجم أعلام الجزائرص:341.

2 - الذهبي في التفسير والمفسرون (1 / 358).

3 - معجم أعلام الجزائر ص299؛ وينظر: الأعلام للزركلي - (2 / 203).

6 . علي بن عبد الله بن ناشر بن المبارك أبو بكر وقيل أبو الحسن الوهراني[1] (... –615هـ/... - 1219م):

مفسّر نحوي، لغوي شاعر من أهل وهران المعروف بخطيب داريا؛ رحل إلى المشرق وسكن مدينة دمشق، وولى الخطابة بجامع داريا (من قرى دمشق بالغوطة).

سمع منه أبو الحجاج يوسف بن خليل الدمشقي(555-648هـ) وخرّج عنه في " معجمه" قطعة من شعره؛ توفي سنة 615 هـ خمس عشرة وستمائة.

من مصنفاته:

- تفسير القرآن.
- شرح جمل الكبيرة للزجاجي في النحو.
- شرح المعلقات السبع وإعرابها، هو مخطوط في برلين.

7 . أحمد بن علي بن يوسف، تقي الدين أبو العباس البوني (... - 622 هـ / ...- 1225م) :

صاحب المصنفات في علم (الحروف) متصوف مغربي الأصل، نسبته إلى بونة (إفريقية، على الساحل) التي تعرف الآن بعنابة من القطر الجزائري: كتبه يستعملها أصحاب السحر والتعاويذ -والعياذ بالله-

من مصنفاته:

- أسرار الحروف والكلمات.
- إظهار الرموز وإبداء الكنوز.
- بحر الوقوف في علم الأوفاق والحروف.
- تحفه الأحباب ومنية الانجاب في أسرار بسم الله وفاتحة الكتابة والتوجيهات العطائية.
- جواهر الأسرار في نواهر الأنوار.
- حزب النصر.
- خصائص سر الكريم في فضائل بسم الله الرحمن الرحيم.
- رسالة التجليات.
- رسالة الشهود على طريقة على الحروف.
- الرسالة اللامية. الرسالة النونية.
- سير نور الأنوار وقبس سير سر الأسرار.
- شرح أسماء الله الحسنى.
- شرف الشكليات وأسرار الحروف الورديات.
- شمس المعارف ولطائف العوارف.
- شمس الواصلين وأنس السائرين في سر السير على براق الفكر والطير.

علم الهدى وأسرار الاهتداء في فهم معنى سلوك أسماء الله الحسنى.

- فتح الكريم الوهاب في فضائل البسملة مع جملة من الأبواب.

---

1 ـ معجم أعلام الجزائر ص349. معجم المفسرين:368/1؛ طبقات المفسرين للسيوطي - (1 / 13)؛ طبقات المفسرين - الأدنروي - (1 / 219)؛ هداية العارفين - (1 / 376)؛ كشف الظنون - (1 / 461).

•قبس الاقتداء إلى وفق السعادة ونجم الاهتداء إلى شرف السيادة.

قوت الأرواح ومفتاح الأفراح.

•كتاب الحروف والعدد.

كتاب فاه باللسان ورسمه بالبنان على ألواح البيان في عالم العيان.

لطائف الإشارات في أسرار الحروف العلويات.

•اللطائف العشرة.

•كنز اللطائف الروحانية في أسرار اللمعة النورانية.

اللمعة النورانية في الأوراد الربانية[1].

المشهد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى.

مطلع العزائم.

مواقف الغايات في أسرار الرياضات[2].

•مواقيت البصائر ولطائف السرائر.

موضع الطريق وقسطاس التحقيق في شرح الأسماء الحسني.

نهاية الآمال في فضائل الأعمال.

هداية القاصدين ونهاية الواصلين. وغير ذلك. توفي بالقاهرة[3].

8 . يحيى بن محمد بن يوسف التجيبي، التلمساني أبو زكريا[4] (... - 652 هـ/... - 1254م):

مفسر، واعظ صنف في التفسير والرقائق، وتوفي في 9 شوال.

قال الذهبي: حج وجاور وسمع بمكة من أبي الحسن بن البناء وسكن الإسكندرية ووعظ وصنف التفسير و الرقائق. توفي في شوال سنة اثنتين وخمسين وستمائة.

1 ـ مخطوط في مغنيسا (الرقم 1451) وفى جامعة الرياض (131).

2 ـ رسالة مخطوطة في الازهرية.

3 ـ هدية العارفين (1 / 47).

4 ـ طبقات المفسرين السيوطي (1 / 108)؛ طبقات المفسرين الأدنروي (1 / 187)؛ معجم المفسرين 735/2؛ معجم أعلام الجزائر ص83..

سادسا: الدولة الزيانية (بنو عبد الواد) في المغرب الأوسط (الجزائر) (668-961هـ/1270-1554م)

وأول حكامها هو يغمراسن بن زياد بن ثابت؛ وكان مطيعاً للموحدين وعندما ضعفت دولتهم حملهم على التنازل له عن إمارة تلمسان، لكنْ أبو الحسن السعيد خليفة الموحدين لم يعجبه هذا الأمر ورآه خروجاً عن سلطانه، فخرج لقتاله فقُتل خليفة الموحدين، وتثبتت أركان دولة بني عبد الواد، ومن ثم أصبحت دائمة التعرض للمطامع، حتى جاء أبو حمو موسى الثاني سنة(760هـ)، وظل أمرها قائماً حتى كثر النزاع بين ملوكها وتشتت أركانها، وانتهى أمرها باستيلاء الأتراك عليها سنة(961هـ/1554م).

أما الحياة العلمية فكان للعلماء إنتاج لا مثيل له، ومن أكبر أسبابه استقرارهم في دولة المرابطين والموحدين، مما جعل لهم طلاباً وتلاميذ حملوا الأمانة بعدهم، وظهروا في الدولة الزيانية التي استقرت بعلمائها وتفننوا في العلوم، فكان منها في التفسير فقط: أبو عبد الله محمد بن محمد المقري التلمساني (ت 759 هـ)، و أبو العباس أحمد بن العباس النقاوسي (ت 765 هـ)؛ و أبو عبد الله العلويني محمد بن أحمد بن علي الإدريسي الحسني المعروف بالشريف التلمساني(ت 771 هـ)؛ و عبد الرحمن بن أحمد الوغليسي، البجائي(ت 786هـ)؛ و سعيد بن محمد التجيبي التلمساني العقباني (ت 811 هـ)؛ و أبو يحيى، عبد الرحمن بن محمد التلمساني (ت826هـ)؛ و أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد البسيلي (ت 830 هـ)؛ و أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق العجيسي التلمساني (ت 842 هـ)؛ و أحمد بن محمد بن زاغو المغراوي التلمساني (ت 845 هـ)؛ و أبو الفضل قاسم بن سعيد العقباني التلمساني، (ت854 هـ)؛ و إبراهيم بن فائد بن موسى النبروني الزّواوي القسنطيني (ت 857 هـ)؛ وأبو عبد الله محمد بن أبي القاسم المشذالي (ت 866) ؛ و عبد الرحمن بن محمد الثعالبي الجعفري(ت 875 هـ) وتفسيره معروف ومشهور؛ و أبو عبد الله محمد بن قاسم الأنصاري التلمساني ثم التونسي(ت 894 هـ)؛ ومحمد بن يوسف الحسني السنوسي التلمساني(ت 895 هـ)؛ وأحمد بن محمد بن زكري (ت 899 هـ)؛ ومحمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني(ت 909 هـ)؛ و أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن أبي يحي بن أبي العيش الخزرجي التلمساني (ت 911هـ)؛ و أبو الحسن عليّ بن موسى المطغري (ت 951 هـ).

---

9 . محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى القرشي أبو عبد الله اللغوي المقري التلمساني[1] (.. - 759هـ/.. - 1359م):

لأشهر العلامة الأظهر أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن أحمد المقري القرشي التلمساني النشأة والقبر الفاسي المسكن وقاضي الجماعة بفاس المتوفى بها سنة 759 ونقل إلى تلمسان، وهو الذي أفرده ابن مرزوق الجد بمؤلف سماه " النور البدري في التعريف بالفقيه المقري " له في مشيخته وفوائده عنهم النظم المذكور، وقد أتى بملخصه المقري في نفحه وأزهاره، وله في ذلك تلخيص؛ وهو من أكابر علماء المذهب المالكي في وقته، وشيخ لسان الدين ابن الخطيب وعبد الرحمن بن خلدون

ومن مصنفاته:

- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من معاني السنة وآي الفرقان.
- الحقائق والرقائق.

---

1 ـ معجم أعلام الجزائر ص 312؛ هدية العارفين (2 / 31) فهرس الفهارس (2 / 682) ؛أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض - (1 / 1).

•رحلة المتبتل.
•لمحة العارض لتكملة ألفية ابن الفارض.
•القواعد واشتمل على 1200 قاعدة قال عنه الونشريسي: " إنه كتاب عزيز العلم، كثير الفوائد، لم يسبق إلى مثله"اهـ
•الطرف والتحف.
•عمل لمن طب لمن حب.
•المحاضرات.
•شرح لغة قصائد المغربي الخطيب.
•إقامة المريد.
•شرح التسهيل.
•النظائر.
•المحرك لدعاوى الشر من أبي عنان.
•اختصار المحصل. لم يكمله.
•شرح جمل الخنوجي. لم يكمله.
•وله نظم جيد أورده ابن الخطيب نماذج منه في كتاب الإحاطة.

10 . محمد بن أحمد بن علي الادريسي الحسني، أبو عبد الله العلويني المعروف بالشريف التلمساني[1] (710 - 771 هـ / 1310 - 1370م):

باحث من أعلام المالكية، مفسر انتهت إليه إمامتهم بالمغرب.

كان من قرية تسمى العلوين (من أعمال تلمسان) ونشأ بتلمسان، ورحل إلى فاس مع السلطان أبي عنان، ثم نكبه أبو عنان، واعتقله شهرا.

وأطلقه (سنة 756) وأقصاه، ثم أعاده وقربه (سنة 759) ودعي إلى تلمسان، وكان قد استولى عليها أبو حمو (موسى بن يوسف) فذهب إليها، وزوجه " أبو حمو " ابنته، وبني له مدرسة أقام يدرس فيها إلى أن توفي.

من كتبه:

•مفتاح الوصول إلى بناء الفروع والأصول[2]. في أصول الفقه كتب عليه عبد الحميد ابن باديس شرحا مختصرا، حاد تدريسه له.

• و شرح جمل الخونجي .

وكان لسان الدين ابن الخطيب كلما ألف كتابا بعثه إليه وعرضه عليه.

---

1 ـ الأعلام للزركلي (5 / 327).

2 ـ يعتبر كتابه "مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول"من أجود المصنفات في علم أصول الفقه، ألفه على منهج جديد، مرتب منظم، قوي العرض دقيق النظر، يعنى بما خلت منه المؤلفات في علم الأصول مما يلزم المتعلم، ويمرن الفقيه، فهو تطبيق للمسائل الفقهية على الأصول والأدلة الكلية، وتحرير للفروع الخلافية،= = مع تيسير في الاستنباط، وهو لهذا الاعتبار يعد من كتب القواعد وإن كان ليس في القواعد الفقهية الخالصة، ولكنه يجمع بين القواعد والأصول.

11 . أحمد بن العباس أبو العباس النقاوسي[1] (... - 765 هـ / .... - 1364م):

أحمد بن العباس النقاوسي أبو العباس: نحوي، من فقهاء المالكية، حافظ أديب، له مشاركة في علوم التفسير والحديث واللغة والمنطق.

أخذ عن أبي منصور بن أحمد بن عبد الحق المشذلي(ت731هـ)، وابن راشد القفصي.

رحل من تلمسان واستقر في تونس واشتغل بالتدريس؛ لقيه أبو البقاء خالد بن عيسى البلوي الأندلسي قبل سنة 765هـ وذكره في رحلته المسماة" تاج المفرق في تحلية أهل المشرق" ومما قاله فيه: "كان حافظاً مجيداً، وعارفاً مديداً، ومدرسا مفيداً"اهـ

من مصنفاته:

- الروض الأريض في علم القريض.
- حديقة الناظر في تلخيص المثل السائر.
- شرح المصباح لابن مالك.
- إيضاح السبيل إلى القصد الجليل في علم الخليل[2].

12 ـ منصور أبو علي بن علي بن عبد الله الزواوي (710 ـ 770هـ):

فقيه مالكي، إمام علامة، حافظ نحوي أصولي اشتغل بالفتوى له دراية بالمنطق وعلم الكلام والحساب والهندسة، شارك في العلوم العقلية والنقلية، ذو خط حسن، ونظم رائق، ولد ببجاية عام 710هـ ـ 1311م، نشأ وتعل بها على يد أبيه، وعلى يد الشيخ أبي علي ناصر الدين بن أحمد المشدالي الذي قرأ عليه أوائل فقه ابن الحاجب، كما أخذ عن أبي علي بن حسين البجائي، وعن القاضي أبي عبد الله محمد بن يوسف الزواوي والبباهلي المعروف بالمفسر، والفقيه أبي عبد الله الرندي، وعن الشيخ أبي عبد الله بن الفخار البيري، وأجازه، وعن القاضي الشريف الحسني السبتي، وعن الشيخ أبي البركات محمد بن الحاج المعروف بالبلفيقي، وأبي عبد الله الطنجائي، ثم تولى التدريس والإقراء والفتيا بها، ولما أفتى الشيخ منصور في مسألة بخلاف فقهاء المنطقة لقي معارضة شديدة من طرفهم، مما اضطره إلى الرحلة من الأندلس سنة 765هـ قاصدا تلمسان، ثم بالمغرب حيث أخذ عن الشيخ عبد المهيمن الحضرمي والمحدث أبي العباس بن يربوع وأبي إسحاق بن أبي يحيى، ثم استقر به المقام بتلمسان وتولى التدريس والإقراء ، وأفتى بها وبغرناطة، قال عنه لسان الدين بن الخطيب: " وهو صدر من الصدور، له مشاركة حسنة في كثير من العلوم العقلية والنقلية، واطلاع وتقييد ونظر في الأصول والمنطق والكلام، ودعوى في الحساب والهندسة والآلات، يكتب ويشعر فلا يعدو الإجازة والسواد"، قال عنه في الإحاطة: " اشتهر بحسن العهد والصون والطهارة والفقه، نقبض عن الناس، مثابر على تعلم العلم وتعليمه، قدم إلى الأندلس سنة 753هـ وانتصب فيها للتدريس فستفاد منه كثير من أعلام البلاد، منهم الإمام أبو إسحاق الشاطبي"، قال عنه يحي بن أحمد السراج: "كان شيخا فاضلا فقيها نظارا معدودا في أهل الشورى، مثابرا على التعلم والتعليم"، توفي ودفن بتلمسان عام 770هـ ـ 1368م، بعد عودته من آداء فريضة الحج.

---

1 ـ ينظر: أعلام الجزائر،ص331.
2 ـ شرح على عروض ابن الحاجب.

13 . محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن مرزوق أبو عبد الله العجيسي التلمساني المالكي[1] (766 - 842 هـ / 1365 - 1439م):

قال السخاوي--:"ويعرف بحفيد ابن مرزوق وقد يختصر بابن مرزوق. ولد في الثالث عشر ربيع الأول سنة ست وستين وسبعمائة واشتغل ببلاده، وتلا لنافع على عثمان بن رضوان بن عبد العزيز الصالحي الوزروالي وانتفع به في القراءات والعربية وبجده وبن عرفه في الفقه وغيره؛ وأجاز له أبو القسم محمد بن محمد بن الخشاب ومحدث الأندلس محمد بن علي بن محمد الأنصاري الحفار ومحمد بن محمد بن علي بن عمر الكناني القيجاطي وعبد الله بن عمر الوانغلي وأخرون، وحج قديماً سنة تسعين رفيقاً لأبن عرفة وسمع من البهاء الدماميني باسكندرية ونور الدين العقيلي النويري بمكة وفيها قرأ البخاري على ابن صديق ومن البلقيني وابن الملقن والعراقي وابن حاتم بالقاهرة ولازم بها المحب بن هشام في العربية، وكذا حج في سنة تسع عشرة ولقية الزين رضوان بمكة وقرأ عليه ثلاثيات البخاري بقرأته لها على ابن صديق؛ وكذا لقيه شيخنا قريباً من هذا الوقت بالقاهرة وقال في ترجمة جده من دُرره: نعم الرجل معرفة بالعربية والفنون وحسن الخط والخلق والخلق والوقار والمعرفة والأدب التام حدث بالقاهرة وشغل وظهرت فضائله؛ زاد في معجمه: سمع مني وسمعت منه وأخذ عني قطعة من شرح البخاري ومن نظمي وأجاز لابني محمد ولم يطل الإقامة بالقاهرة، وكان نزهاً عفيفاً متواضعاً. قلت وكذا قال المقريزي في عقوده أنه قدم حاجاً فأقام بالقاهرة مدة ثم سافر لبلاده ثم رجع في سنة تسع عشرة فحج أيضاً وعاد، قال وكان نزهاً عفيفاً متواضعاً. وممن أخذ عنه الأمين والمحب الأقصرائيين وأكثر عنه وناصر الدين بن المخلطة والشريف عيسى الطنوبي وأحمد بن يونس وكان أخذه عنه لما قدم عليهم بلدة قسنطينة وأقام بها ستة أشهر"اهـ.

ومن مصنفاته منها:

- المتجر الربيح والمسعى الرجيح والمرحب الفسيح في شرح الجامع الصحيح لم يكمل.
- و تفسير سورة الإخلاص.
- وأنواع الذراري في مكررات البخاري.
- وإظهار المودة في شرح البردة ويسمى أيضاً صدق المودة.
- واختصره وسماه الاستيعاب لما في البردة من المعاني والبيان والبديع والإعراب.
- والذخائر القراطيسية في شرح الشقراطسية.
- ورجز في علوم الحديث سماه الروضة.
- وأختصره في رجز أيضاً وسماه الحديقة
- وأرجوزة في الميقات سماها المقنع الشافي.
- وانتهاز الفرصة في محادثة عالم قفصة وهو أجوبة عن مسائل في فنون العلم وردت عليه من المشار إليه.
- والمعراج إلى استمطار فؤاد ابن سراج.
- والنصح الخالص في الرد على مدعي رتبة الكامل للناقص.
- والروض البهيج في مسايل الخليج جمع مسيل.
- والمفاتح المرزوقية في استخراج خبر الخزرجية.
- وشرح التسهيل.

---

1 ـ الضوء اللامع (3 / 384)؛ فهرس الفهارس (1 / 524).

- وكذا ألفية ابن ملك.
- ومختصر الشيخ خليل وسماه المنزع النبيل ولم يكملا.
- وابن الحاجب والتهذيب وسماه روضة الأديب ومنتهى أمل اللبيب في شرح التهذيب.
- والجمل للخونجي وسماه منتهى الأمل.
- ونظم المتن وعمل عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمة التقليد.
- والآيات البينات في وجه دلالة المعجزات.
- والدليل الواضح المعلوم على طهارة ورق الروم.
- وجزء في إثبات الشرف من قبل الأم.
- وغير ذلك مما أخذ عنه بعضه بالقاهرة. ومات بتلمسان في عشية الخميس رابع عشر شعبان سنة اثنتين وأربعين عن ست وسبعين سنة، وأرخه بعض في ربيع منها والأول أضبط .

14 . قاسم بن سعيد العقباني التلمساني، أبو الفضل[1]([63]) (768 - 854 هـ / 1367 - 1450م):

فقيه، بلغ درجة الاجتهاد. نسبة لبني عقبة - التلمساني المغربي المالكي ويدعى أبا القاسم. ولد في سنة ثمان وستين وسبعمائة، وقدم القاهرة فكتب لابن شيخنا وغيره بالإجازة في سنة ثلاثين وثمانمائة، وممن أخذ عنه في الفقه وأصوله أبو الجود البنبي وقال صاحب الترجمة أنه قرأ على والده وأنه كتب قطعة على ابن الحاجب الفرعي، وله أجوبة في مسائل تتعلق بالصوفية واجتماعهم على الذكر وأن مولد والده سنة عشر أو سبع عشرة وسبعمائة؛ **ومن مصنفاته:**

- تفسير لسورتي الأنعام والفتح.
- وشرح للبرهانية للسلانكي في أصول الدين.
- وشرح لابن الحاجب الأصلي.
- وشرح للحوفي في الفرائض.
- وشرح للجمل في المنطق للخونجي.
- وشرح للبردة.

15 . أحمد بن محمد بن عبد الرحمن ابن زاغو المغراوي التلمساني[2]([29]) (782 - 845 هـ / 1380 - 1441م):

مفسر، من فقهاء المالكية، من أهل تلمسان، قال القلصادي: "كان أعلم الناس في وقته بالتفسير وأفصحهم" **من كتبه:**

- تفسير الفاتحة.
- مقدمة في التفسير.
- شرح التلمسانية في الفرائض.
- أجوبة فقهية[3].
- وله فتاوى كثيرة[4].

---

1 ـ ذكره الأدنروي في طبقات المفسرين (1 / 320)؛ وينظر: الضوء اللامع (3 / 250)؛ كذا الأعلام للزركلي (5 / 176).
2 ـ معجم المفسرين 1/ 71.
3 ـ مخطوط في خزانة تمكروت (بسوس) في المجموع 1525 فرائض.
4 ـ الأعلام للزركلي (1 / 227).

16 . إبراهيم بن فائد بن موسى بن عمر بن سعيد بن علال بن سعيد النبروني الزّواوي النجار القسطيني: فقيه مالكي جزائري[1]. (796 - 857 هـ / 1394 - 1453م).

ولد سنة ست وتسعين وسبعمائة في جبل جرجرا ثم انتقل إلى بجاية فقرأ بها القرآن واشتغل بها في الفقه على أبي الحسن علي بن عثمان ثم رحل إلى تونس فأخذ الفقه أيضاً وكذا المنطق عن أبي عبد الله الأبي والفقه أيضاً وكذا التفسير عن القاضي أبي عبد الله القلشاني والفقه وحده عن يعقوب الزعبي والأصول عن عبد الواحد الفرياني، ثم رجع إلى جبال بجاية فأخذ العربية عن الأستاذ عبد العالي بن فراج ثم انتقل إلى قسنطينة فقطنها وأخذ بها الأصلين والمنطق عن حافظ المذهب أبي زيد عبد الرحمن الملقب بالباز والمعاني والبيان عن أبي عبد الله محمد اللبسي الحكم الأندلسي ورد عليهم حاجاً والأصلين والمنطق والمعاني والبيان مع الفقه وغالب العلوم المتداولة عن أبي عبد الله بن مرزوق عالم المغرب قدم عليهم قسنطينة فأقام بها نحو ثمانية أشهر، ولم ينفك عن الاشتغال والأشغال حتى برع في جميع هذه الفنون لا سيما الفقه من مصنفاته:

- عمل تفسيراً.
- وشرح ألفية ابن مالك في مجلد.
- وتلخيص المفتاح في مجلد أيضاً وسماه تلخيص التلخيص.
- ومختصر الشيخ خليل في ثلاث مجلدات سماه: " تسهيل السبيل لمقتطف أزهار روض الخليل" في مختصر الشيخ خليل
- وكذا في آخر إن كان كمل في مجلدين سماه فيض النيل.
- تحفة المشتاق في شرح مختصر خليل بن إسحاق[2].

وحج مراراً وجاور وتلا لنافع على الزين بن عياش بل حضر مجلس ابن الجزري في سنة ثمان وعشرين وممن أخذ عنه الشهاب بن يونس بل شاركه في أخذه عن محمد بن محمد بن عيسى الدلدوي أحد مشايخه ولقيه البقاعي في سنة ثلاث وخمسين حين حج أيضاً[3] .

17 ـ عبد الرحمن بن أحمد الوغليسي، البجائي (...–786هـ/... - 1384م):

عالم، فقيه، متكلم. توفي ببجاية. **من آثاره:**

- المقدمة.
- وفتاوي[4].

وصفه مخلوف بالفقيه الأصولي المحدث المفسر، وقال كان عمدة أهل زمانه وفريد عصره وأوانه[5].

18 .عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن علي بن يحيى الحسني أبو يحيى التلمساني[6] (...–826هـ/...- 1423م):

عالم بالتفسير حافظ محدث من أكابر فقهاء المالكية، من أهل تلمسان، ولد بها في رمضان سنة سبع وخمسين وسبعمائة، أخذ عن أبيه الشريف التلمساني وسعيد العقباني المفسرين أبي القاسم بن رضوان وغيرهم.وعنه ابنه إبراهيم، وابن زاغو، وابن مرزوق الحفيد المفسرين وجماعة.ووصفه الونشريسي، وابن القاضي بالعالم المفسر.

توفي بتلمسان في فجر السادس والعشرين من رجب سنة ست وعشرين وثمانمائة.

---

1 ـ معجم المفسرين 1/ 18؛ معجم أعلام الجزائر، ص160.
2 ـ قال التنبكتي:رأيت السفر الأول منه في خزانة جامع الشرفاء بمراكش.
3 ـ الضوء اللامع (1 / 72)
4 ـ معجم المؤلفين (5 / 123).
5 ـ الشجرة (237/1).
6 ـ معجم المفسرين: 275/1..

له: تفسير سورة الفتح: قال مخلوف: على غاية من التحقيق.

19 .عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجعفري المالكي[1] (785 - 875 هـ/1383-1471م):

ولد بمحل سكنى والديه في وادي يسر الذي بينه وبين مدينة الجزائر مسافة مرحلة وأصله من وطن الثعالبة في عمالة الجزائر بأفريقية - ذكره السخاوي في الضوء اللامع وقال: كان

إماما علامة الخ وترجمه أحمد بابا التنبكتي في كفاية المحتاج وقد اثنى عليه جماعة من شيوخه رحل في طلب العلم ودخل بجاية وكان عمدة قرأنه بها.

ممن أخذ عنه أبي القسم العبدوسي وحفيد ابن مرزوق والبرزلي والغبريني، ثم ارتحل إلى المشرق فلقي بمصر الشيخ ولي الدين العراقي فأخذ عنه علوما جمة ثم لقي بمكة بعض المحدثين ورجع إلى الديار المصرية ومنها إلى تونس فمكث بها سنة ثم رجع إلى مدينة الجزائر وفيها نشر علمه الغزير، توفي بمدينة الجزائر.

فعبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي(785ـ 876هـ):

هو مفسر، وفقيه مالكي صوفي، ومتكلم على طريقة أهل السنة من الأشاعرة .ولد بالجزائر موطن آبائه وأجداده الثعالبة، وهو أحد أعلام الأشاعرة المالكية فيالقرن التاسع الهجري. [2]

ـ ميلاده:

هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف بن طلحة بن عامر بن نوفل بن عامر بن موصور بن محمد بن سباع بن مكي بن ثعلبة بن موسى بن سعيد بن مفضل بن عبد البر بن فيسي بن هلال بن عامر بن حسان بن محمد بن جعفر بن أبي طالب.

ولد **عبد الرحمن الثعالبي** سنة 786هـ1384/ م بوادي يسر بمدينة) يسر (الواقعة حاليا بولاية بومرداس والقريبة بخمس كيلومترات من مدينة برج منايل شمال شرقي العاصمة الجزائرية، حيث تبعدها بمسافة 62,3 كلم، وهذه المدينة هي موطن آبائه وأجداده الثعالبة،يقال أبناء ثعلب بن علي من عرب المعقل الجعافرة.[3]

ـ النشأة والتكوين:

نشأ عبد الرحمن الثعالبي في بيئة علم ودين وصلاح، استهل تعلمه على يدي علماء منطقته.

ثم انتقل وتكون في الجزائر ثم قصد المغرب الأقصى بصحبة والده محمد بن مخلوف فتعلم أصول الدين والفقه فأخذ عن العجيسي التلمساني المعروف بالحفيد

وزار مدينة بجاية فمكث بها سنة ثم عاد إلى مسقط راسه بعد وفاة والده ثم رجع لمدينة(بجاية) فنزل بها سنة 802هـ/1399م مكث فيها حوالي السبع سنوات، وتعلم على أبو الحسن علي بن عثمان المانجلاتي، وأبو الربيع سلمان بن الحسن، وأبو العباس أحمد النقاوسي، وأبو القاسم المشدالي، وأبو زيد الوغليسي، وغيرهم.

ثم انتقل إلى تونس سنة 809هـ/1406م فتعلم على الأبي، والبرزلي تلميذ ابن عرفة.

ثم ارتحل إلى مصر سنة 819هـ /1414م، فلقي بها البلالي، وأبا عبد الله البساطي، وولي الدين العراقي وغيرهم،

---

1 ـ معجم المفسرين: 276/1.ينظر:الضوء اللامع (2 / 291)؛ معجم المطبوعات (1 / 661)؛ هداية العارفين (1 / 276).

2 ـ انظر ترجمته في: طبقات الحضيكي- تقديم وتحقيق: أحمد بومزكو-ج/2-ص:536-ترجمة رقم: 705-الطبعة الأولى/2006-مطبعة النجاح/الدار البيضاء. فهارس علماء المغرب- الدكتور عبد الله المرابط الترغي- ص: 623- ترجمة رقم: 49- منشورات كلية الآداب-تطوان/1999. جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري-محمود عياد- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع-الجزائر/1982. تاريخ الجزائر الثقافي- أبو القاسم سعد الله – دار الغرب الإسلامي/لبنان.

3 ـ أعلام من الجزائر الإمام عبد الرحمن الثعالبي (786هـ / 1385م - 875هـ / 1471م) نسخة محفوظة 05 مارس 2016 على موقع واي باك مشين.

ثم ارتحل إلى تركيا، ومنها قصد الحجاز فأدى فريضة الحج، واختلف إلى مجالس العلم هناك، ثم قفل راجعا إلى مصر واصل دراسته فيها، ومنها إلى تونس، فوافى بها ابن مرزوق الحفيد التلمساني، فلازمه وأخذ عنه الكثير.

ثم عاد بعد هذه الرحلة الطويلة في طلب العلم والمعرفة إلى الجزائر، فاهتم بالتأليف وصار يلقي دروسه بأكبر مساجد الجزائر آنذاك.

شيوخه:

1 ـ أبو القاسم أحمد بم محمد بن اسماعيل البلوي البرزلي، أحد أئمة المالكية صاحب الفتاوى المتداولة (844هـ).

2 ـ أبو مهدي عيسى بن أحمد بن محمد الغريني التونسي قاضي الجماعة بها حافظها العالم الجليل المعظم، أو حد أهل زمانه (ت813هـ).

3 ـ محمد بن خلف المعروف بأبي الوشتاتي البارع المحقق العلامة الأصولي، صاحب إكمال الإكمال، وله شرح المدونة (ت828هـ).

4 ـ أبو القاسم بن موسى بن محمد بن موسى العبدوسي المغربي نزيل الجزائر من المشهورين بالصلاح والعلم والورع والتحقيق (ت884هـ).

5 ـ أبو يوسف يعقوب بن أبي القاسم الزعبي التونسي (ت833هـ).

6 ـ أبو عبد الله محمد بن عبد الله القلشاني معروف بالعلم والفضل لازمه الثعالبي وانتفع به (ت836هـ).

7 ـ محمد الخطيب بن محمد بن مرزوق الإمام المحقق العلامة المفسر (ت842هـ).

8 ـ أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر الولي أبو زرعة الكردي الأصل المعروف بالعراقي، برع في الحديث والفقه وأصوله والعربية (ت836هـ).

قال الثعالبي: "وأكثرت الحضور والقراءة على الشيخ ولي الدين أحمد بن عبد الرحيم العراقي شيخ المحدثين فحضرت عليه علوما جمة معظمها في علم الحديث وفتح الله سبحانه لي فيه فتحا عظيما، وكتب بخطه وأجازني".

تلاميذه:

تخرج على يديه كثير من العلماء، من بينهم:

1- محمد بن يوسف السنوسي 2- أحمد زروق 3- محمد المغيلي التلمساني 4- أحمد بن عبد الله الزواوي المغربي المالكي(ت884هـ)، 5- محمد بن مرزوق الكفيف، وغيرهم.

تولى القضاء زمنا قصيرا، ثم تركه لينقطع إلى الزهد والعبادة، كما قام بالخطابة على منبر الجامع الأعظم بالجزائر العاصمة، ويروى أن من بقايا آثاره المتبرك بها إلى اليوم بهذا المسجد (مقبض عصى خطيب صلاة الجمعة .

آثاره العلمية:

كان معروفا عن عبد الرحمن الثعالبي، أنه عالم زمانه في القطر الجزائري في علم التفسير، علم العقيدة علم الكلام وأصول الدين، الفقه، والتصوف، وغيرها من العلوم الدينية الأخرى وهو أحد أعلام القرن التاسع الهجري ذلك أن الإنتاج الفكري للثعالبي انتشر في مختلف مكتبات العالم العربي والغربي.

وقد عكف على التدريس والتأليف، وكانت معظم مصنفاته في علوم الشريعة، وقد ترك في هذا الحقل ما يزيد على تسعين مؤلفا في التفسير والحديث والفقه واللغة والتاريخ والتراجم وغيرها، من أهمها:

1. تفسيره الجواهر الحسان في تفسير القرآن في أربعة أجزاء ،وقد انتقاه -كما يقول- من كتب التفسير السابقة وأضاف إليه ما تيسر له، فجاء تفسيره مملوءاً بنفائس الحكم وجواهر السنن الصحيحة، طبع أول مرة بالجزائر 1909، ثم طبع طبعة ثانية في السنوات الأخيرة بتحقيق الدكتور عمار طالبي.
2. حقائق التوحيد.
3. روضة الأنوار ونزهة الأخيار في الفقه.
4. جامع الهمم في أخبار الأمم.
5. جامع الأمهات في أحكام العبادات.
6. الأربعين حديثا في الوعظ.
7. جامع الأمهات للمسائل المهمات مخطوط بالمكتبة الوطنية بالجزائر وهو في الفقه.
8. رياض الصالحين وتحفة المتقين في التصوف مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائر تحت رقم 833.
9. وله مخطوطات في التوحيد واللغة والفقه في تنبكتو بالنيجر الشاوي التاريخي.
10. الدر الفائق، والأنوار المضيئة بين الحقيقة والشريعة ويعني بالتربية الروحية، وحقيقة الذكر،
11. الذهب الإبريز في غرائب القرآن والعزيز.

ثناء العلماء عليه:

وقال عنه الشيخ أبو زرعة العراقي» :الشيخ الصالح الأفضل الكامل المحرر المحصل الرحال أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، ووصفه العلامة عيسى بن سلامة البسكري : بالشيخ الصالح الزاهد العالم العارف أبو زيد عبد الرحمن الثعالبي»، وقال عنه تلميذه الشيخ أحمد بن زروق: «كانت الديانة أغلب عليه من علمه.«

قال الإمام السخاوي: " وكان إماما علامة مصنفا..."[1].

وقال أحمد بن أحمد بن عمر التنبكي الفقيه المؤرخ[2]: " الشيخ الإمام الحجة العامل الزاهد الورع ولي الله الصالح العارف بالله أبو زيد، اشتهر بالثعالبي صاحب التصاريف المفيدة، وكان من خيار عباد الله الصالحين"[3].

منهج الإمام الثعالبي في تفسيره الجواهر الحسان في تفسير القرآن

لقد تأثر الثعالبي في تفسيره بمصادر مشرقية، كما تأثر بمصادر مغربية وأندلسية، فجاء تفسيره مزيجا بين الفكر المشرقي والفكر المغربي، حيث ضمنه المهم مما اشتمل عليه تفسير ابن عطية، وزاده فوائد من غيره من كتب الأئمة، حسبما رآه أو رواه عن الأثبات، وذلك قريب من مائة تأليف، وما منها تأليف إلا وهو منسوب لإمام مشهور بالدين، ومعدود في المحققين.

والثعالبي من بين المفسرين الجزائريين البارزين من أول تفسير عرف قام به هود بن محكم الهواري في جبل أوراس، إلى أبي عبد الله محمد بن أحمد الشريف.

بين يدي المنهج:

ذكر السيوطي في " الإتقان " شروطا يجب توافرها فيمن أقبل على كتاب ربه بنية تفسيره، وكشف معانيه، فحكى عن بعض العلماء قوله: اختلف الناس في تفسير القرآن، هل يجوز لكل أحد الخوض فيه؟ فقال قوم: لا يجوز لأحد أن يتعاطى تفسير

1 - ينظر شجرة النور الزكية، ص:244.
2 - ينظر معجم المؤلفين، 145/1.
3 - ينظر نيل الابتهاج، ص: 257.

شئ من القرآن وإن كان عالما، أديبا، متسعا في معرفة الأدلة والفقه، والنحو، والأخبار، والآثار، وليس له إلا أن ينتهي إلى ما روي عن النبي ﷺ في ذلك.

ومنهم من قال: يجوز تفسيره لمن كان جامعا للعلوم التي يحتاج إليها، وهي خمسة عشر علما... ثم ذكرها - رحمه الله-، وهي اللغة، والنحو، والتصريف، والاشتقاق، والمعاني، والبيان، والبديع، والقراءات، وأصول الدين، وأصول الفقه، وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، وعلم الفقه، والأحاديث والآثار، لتفصيل المجمل، وتوضيح المبهم، وهكذا، ثم علم الملكة (أو الموهبة).

وزاد غير السيوطي علوما أخرى، وأيا ما يكن الأمر، فقد ذكر أيضا في "التحبير في علم التفسير" عن العلماء أنه: "من أراد تفسير الكتاب العزيز، طلبه أولا من القرآن، فإن ما أجمل في مكان قد فسر في مكان آخر، فإن أعياه ذلك طلبه في السنة، فإنها شارحة للقرآن، وموضحة له.." وساق كلام الشافعي.

والمقصود أن الإمام الثعالبي - رحمه الله - قد أتى بحظ وافر من هذه الشروط التي ذكرها أهل العلم حدودا ومراسم لمن أقبل على تفسير الكتاب العزيز. فهو قد فسر كتاب الله بعضه ببعض، وفسره بما فسره من أنزل عليه، وهو محمد ﷺ، وبما فسره الصحابة والتابعون، كما استخدم اللغة، وشرح الغيب، وتعرض لتصريف بعض الكلمات، وأكثر من المسائل الإعرابية، ثم هو بعد ذلك يذكر مسائل في أصول الدين، وأصول الفقه، وفروعه، وأسباب النزول، وإيراده بعض الإسرائيليات، واحتجاجه بالقراءات المتواترة، وذكره الشاذ منها، على ما سيتضح مما يلي.

العناصر التي بنى عليها الثعالبي مادة تفسيره:

1 - جمعه بين التفسير بالمأثور من كتاب وسنة، والتفسير بالرأي.

2 - تعرضه لمسائل في أصول الدين.

3 - مسائل أصول الفقه في تفسيره.

4 - تعرضه لآيات الأحكام، وذكره للاختلافات الفقهية.

5 - احتجاجه باللغة، والمسائل النحوية، والتصريفية، وغيرها.

6 - ذكره لأسباب النزول، ومكي القرآن ومدنيه.

7 - ذكره للقراءات الواردة في الآية.

8 - احتجاجه بالشعر واستشهاده به.

9 - موقفه من الإسرائيليات.

وإليك - إيها القارئ الكريم - تفصيل ذلك:

أولا: جمعه بين التفسير بالمأثور والرأي:

من المشهور عند أهل العلم أن خير ما فسر به كتاب الله تعالى، تفسير بعضه ببعض، أو بما فسره به رسوله ﷺ قال السيوطي: فإن ما أجمل في مكان، قد فسر في مكان آخر، فإن أعياه ذلك، طلبه في السنة، فإنها شارحة للقرآن، وموضحة له[1].

1 - ينظر التحبير في علم التفسير، ص: 323.

وأما تفسيره كتاب الله بعضه ببعض، فمنه (مثلا) في قوله تعالى: (فأزلهما الشيطان عنها..) (البقرة: 36)، يتعرض لمعنى " أزلهما " فيقول: مأخوذ من الزلل، ثم يحكي اختلافهم في كيفية هذا الإزلال، فيقول: وقال جمهور العلماء: أغواهما مشافهة، بدليل قوله تعالى: (وقاسمهما) (الأعراف: 21).

وفي الآية التالية، وهي قوله تعالى: (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) (البقرة: 37) يحكي عن الحسن أنها قوله تعالى: (ربنا ظلمنا أنفسنا...) الآية وهي من (الأعراف: 23).

وأما تفسيره بالحديث، فهذا كثير جدا، وفيه (مثلا) في قوله تعالى: (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم...) الآية (الأنعام: 82) يقول: والظلم في هذا الموضع: الشرك، تظاهرت بذلك الأحاديث الصحيحة.

وفي تفسير قوله تعالى: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة..) الآية (الأنفال: 60) قال: وفي صحيح مسلم: " ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي ".

وأما آثار السلف من الصحابة والتابعين، فقد حشا بها تفسيره، فهم خير القرون وأعلمها، فإن سألت عن العربية فهم أرباب الفصاحة فيها، وإن سألت عن علمهم بالأحكام فهم مؤصلوها، والبحور التي لا تكدرها الدلاء، وإن سألت عن أسباب النزول، ومعرفتهم بها، فليس المخبر كالمعاين، وليس من رأى كمن سمع، فمن بينهم من كان يعاين نزول الوحي، ومنهم من نزل بسببه آي الكتاب، وتوبة رب الأرباب.

وقد رأينا الثعالبي - رحمه الله - يزين صحيفته بالنقل عنهم، والأمثلة تملأ الكتاب، ومنها مثلا: في تفسير قوله تعالى: (إذا جاء نصر الله والفتح..) السورة، أن النبي ﷺ قال لعائشة رضي الله عنها: "ما أراه إلا حضور أجلي"، قال الثعالبي: وتأوله عمر والعباس بحضرة النبي ﷺ فصدقها. قال: ونزع هذا المنزع ابن عباس وغيره.

وفي سورة القدر في قوله تعالى: (إنا أنزلنا) يقول: قال الشعبي وغيره: المعنى: إنا ابتدأنا هذا القرآن.

ثانيا: تعرضه لمسائل في أصول الدين:

فقد تعرض لذكر معتقده في مسائل منها، مثل "تكليف ما لا يطاق"، عند تفسيره، لقوله تعالى: (فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء) (البقرة: 31) فقال الثعالبي: " وقال قوم: يخرج من هذا الأمر بالإنباء تكليف ما لا يطاق، ويتقرر جوازه، لأنه سبحانه علم أنهم لا يعلمون. وقال المحققون من أهل التأويل: ليس هذا على جهة التكليف، إنما هو على جهة التقرير والتوقيف".

ثم عاد وذكر المسألة عينها عند تفسير قوله تعالى: (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا...) الآية " 286 "من سورة البقرة، وحكى مذهب أبي الحسن الأشعري. ومنها أيضا: مسألة كلام الله تعالى، فتحدث عن مذهب أهل السنة فيه، عند قوله تعالى: (قال يا آدم أنبئهم...) الآية (البقرة: 33)، فقال: "وهذا هو قول أهل السنة، والحق أن كلام الله (عز وجل) صفة من صفات ذاته يستحيل عليها النقص... إلخ ".

ومنها: تعرضه لمسألة الكسب عند تفسير قوله تعالى: (ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم...) الآية (البقرة: 95).

ومنها: مسألة رؤية الله تعالى، وهذه قد تعرض لها الثعالبي بالذكر عند قوله تعالى:

(لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) (البقرة: 55)، فأشار إلى أن مذهب أهل السنة امتناع ذلك في الدنيا، وأنه من طريق السمع ورد، ثم عاد فرد على الزمخشري، عند تفسير الآية (143) من سورة "الأعراف".

ومنها: مسألة عصمة الأنبياء عليهم السلام، وقد ذكرها عند تفسير قوله تعالى:

(وأرنا مناسكنا وتب علينا)، (البقرة: 128) وحكى إجماع الأمة على عصمة الأنبياء في معنى التبليغ، ومن الكبائر والصغائر التي فيها رذيلة، وخلافهم في غير ذلك من الصغائر.

وحكاية الإجماع إنما نقلها من مختصر الطبري.

ثالثا: مسائل أصول الفقه في تفسيره:

ولم يتوسع الثعالبي في ذكر مصادر اعتمد عليها في المسائل الأصولية غير ما ذكره من مختصر ابن الحاجب.

ومن المسائل التي أوردها كلامه على " النسخ " لغة واصطلاحا، وذلك عند قوله تعالى: " ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها..) (البقرة: 106)، فنقل كلام ابن الحاجب، ثم قال: انتهى من مختصره الكبير، ثم تعرض لجواز النسخ عقلا، وأن البداء لا يجوز على الله تعالى، وبين أن المنسوخ هو الحكم الثابت نفسه، لا ما ذهبت إليه المعتزلة من أنه مثل الحكم الثابت فيما يستقبل.

كما أنه تعرض لمسألة التقبيح والتحسين، وأنهما في الأحكام من جهة الشرع، لا بصفة نفسية.

ومنها: كلامه على تخصيص العموم، وأن العام المخصص حجة في غير محل التخصيص، ونقل عن الرازي قوله: وقد ثبت في أصول الفقه، أنه إذا وقع التعارض بين الإجمال والتخصيص، كان رفع الإجمال ألوى، لأن العام المخصص في غير محل التخصيص، والمجمل لا يكون حجة أصلا. ثم قال الثعالبي: وهو حسن.

رابعا: تعرضه لآيات الأحكام، وذكره للاختلافات الفقهية:

قدمنا أن الثعالبي - رحمه الله - نقل من أحكام القاضي ابن العربي، ولم لا، فالرجل مذهب مالكي مثله، ولا غرو فكان بدهيا أن ينقل ما يخص آيات الأحكام، ويذكر خلاف أهل العلم فيها.

ومن ذلك: آية الوضوء والطهارة، وهي الآية السادسة من سورة المائدة، فنجد الثعالبي يقول: قال ابن العربي في أحكامه... ثم حكى كلامه، ونقل المسائل الفقهية منه، ومنها: قوله: واختلف العلماء هل تدخل المرافق في الغسل أم لا.. واختلف في رد اليدين في مسح الرأس هل هو فرض أو سنة؟...

ومنها: آية قصر الصلاة، في قوله تعالى: (وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) (النساء: 101).

فقال: قال مالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وابن راهويه: تقصر الصلاة في أربعة برد، وهي ثمانية وأربعون ميلا، وحجتهم: أحاديث رويت في ذلك عن ابن عمر، وابن عباس، وقال الحسن، والزهري: تقصر في مسيرة يومين. وروي هذا أيضا عن مالك، وروي عنه: تقصر في مسافة يوم وليلة.

ثم قال: وهذه الأقوال الثلاثة تتقارب في المعنى، والجمهور على جواز القصر في السفر المباح.. إلخ.

ومنها: تعرضه لشهادة القاذف إذا تاب، وذلك في تفسير سورة النور، عند قوله تعالى: (وأولئك هم الفاسقون * إلا الذين من بعد ذلك) (النور: 4 - 5). وحكى عن الجمهور قبول شهادته إذا تاب. قال: ثم اختلفوا في صورة توبته: فقيل: بأن يكذب نفسه، وإلا لم تقبل، وقالت فرقة منها مالك: توبته أن يصلح وتحسن حاله، وإن لم يرجع عن قوله بتكذيب. واختلف فقهاء المالكية متى تسقط شهادة القاذف، فقال ابن الماجشون:

بنفس قذفه، وقال ابن القاسم وغيره: لا تسقط حتى يجلد، فإن منع من جلده مانع عفو أو غيره، لم ترد شهادته... إلخ كلامه".

وفي اللعان يقول: وتحريم اللعان أبدي باتفاق فيما أحفظ من مذهب مالك.

ويلاحظ على الثعالبي أنه لم يتوسع في الاحتجاج للمسائل الفقهية، كما صنع القرطبي - مثلا - ومن قبله ابن العربي، ولعل السبب في ذلك هو أنه لم يخصص تفسيره لنقل الأحكام، وإلا لكان كتاب فقه لا تفسير، وهو قد نص في مقدمته على أنه مختصر، فقال: " فإني جمعت لنفسي ولك في هذا المختصر... إلخ ".

خامسا: احتجاجه باللغة والمسائل النحوية، والتصريفية وغيرها:

وقد ذكرنا آنفا أنه ينقل من الغريبين لأبي عبيد الهروي، ويفسر الألفاظ التي ترد مشكلة، فإذا كانت ذات دلالة شرعية نص عليها، كما وجدناه ينقل المسائل النحوية معتمدا على كلام الصفاقسي في اختصاره من أبي حيان.

فمنها: تفسيره للفظ " القسيس " في قوله تعالى: (ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا) (المائدة: 82)، فنراه يقول: قال الفخر: القس والقسيس: اسم رئيس النصارى، والجمع:

قسيسون، وقال قطرب: القس والقسيس: العالم، بلغة الروم...".

ويقول في قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض...) الآية (آل عمران: 156) قال ابن عطية: الرجس: كل مكروه ذميم، وقد يقال للعذاب والرجز: العذاب لا غير، والركس: العذرة لا غير، والرجس يقال للأمرين.

ويقول في قوله تعالى: (وزاده بسطة في العلم والجسم) (البقرة: 247) قال أبو عبيد الهروي: أي: انبساطا وتوسعا في العلم، وطولا وتماما في الجسم...

وفي قوله تعالى: (فصرهن إليك) (البقرة: 260) يقول: يقال: صرت الشئ أصوره، بمعنى: قطعته، ويقال أيضا: صرت الشئ، بمعنى: أملته... إلخ " وأما ذكره للمسائل النحوية، فكثير جدا، فمثلا في قوله تعالى: (ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما...) (طه: 129) ينقل عن الصفاقسي قوله: " ولزاما " إما مصدر، وإما بمعنى ملزم. وأجاز أبو البقاء أن يكون جمع لازم، كقائم وقيام.

وفي قوله تعالى: (ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) (الأنبياء: 65).

نقل عن الصفاقسي قوله: وقولهم: " لقد علمت " جواب قسم محذوف معمول لقول محذوف في موضع الحال، أي: قائلين: لقد علمت.

وفي أصل الكلمة يقول عند قوله تعالى: (حتى إذا اداركوا فيها جميعا...) (الأعراف: 38): و " اداركوا " معناه: تلاحقوا. أصله: تداركوا أدغم، فجلبت ألف الوصل.

ويذكر بعض لغات العرب، فيقول عند تفسير قوله تعالى: (قال أحدهما إني أراني أعصر خمرا..) (يوسف: 36): قيل فيه: إنه سمى العنب خمرا بالمآل. وقيل: هي لغة أزد عمان، يسمون العنب خمرا.

سادسا: ذكره لأسباب النزول، ومكي القرآن ومدنيّه:

وهذا الفن شريف عزيز، فبه يستطيع المفسر أن يحسن الوصول إلى المعنى من الآية، فيسهل فهمها بمعرفة الملابسات التي أحاطت بنزولها.

وقد ذكر الثعالبي أسباب نزول بعض الآيات، فمثلا:

في قوله تعالى: (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) (النساء: 58) يقول:

" خطاب للنبي ﷺ في أمر مفتاح الكعبة حين أخذه من عثمان بن طلحة، ومن ابن عمه شيبة، فطلبه العباس بن عبد المطلب، ليضيف السدانة إلى السقاية، فدخل النبي ﷺ الكعبة، وكسر ما كان فيها من الأوثان، وأخرج مقام إبراهيم، ونزل عليه جبريل بهذه الآية.

قال عمر بن الخطاب: فخرج النبي ﷺ وهو يقرأ هذه الآية، وما كنت سمعتها قبل منه، فدعا عثمان وشيبة، فقال لهم: خذاها خالدة تالدة، لا ينزعها منكم إلا ظالم..).

وفي قوله تعالى: (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا...) (النساء: 128) يقول: واختلف في سبب نزول الآية، فقال ابن عباس وجماعة: " نزلت في النبي ﷺ وسودة بنت زمعة..." ثم حكى أقوالا أخرى.

وفي قوله تعالى: (ويسئلونك عن الروح....) (الاسراء: 85) يقول روى ابن مسعود، أن اليهود قال بعضهم لبعض: سلوا محمدا عن الروح، فإن أجاب فيه عرفتم أنه ليس بنبي... فسألوه، فنزلت الآية. وقيل: إن الآية مكية، والسائلون هم قريش بإشارة اليهود.

وأما ما ذكره لمكي القرآن ومدنيه، فكان يذكر في أوائل السور كونها مكية أو مدنية، فمثلا في سورة الحجرات يقول: وهي مدنية بإجماع، و يقول في "ق": وهي مكية بإجماع، وفي سورة الأنفال: مدنية كلها، قال مجاهد: إلا آية واحدة، وهي قوله: (وإذ يمكر بك الذين كفروا...) الآية.

وفي سورة هود: "مكية إلا نحو ثلاث آيات.." وهكذا.

سابعا: ذكره للقراءات الواردة في الآية:

وبداية، فإن للقراءات الواردة في كتاب الله (تعالى) أثرا كبيرا في إثراء التفاسير بالمعاني المختلفة المتنوعة، مع اشتراط ما اشترطه أهل هذا لفن من ضوابط للقراءة المقبولة، واختلاف هذه القراءات له فوائد جمة:

منها: جمع الأمة الإسلامية الجديدة على لسان واحد يوحد بينها، وهو لسان قريش الذي نزل به القرآن الكريم، والذي انتظم كثيرا من مختارات ألسنة القبائل العربية التي كانت تختلف إلى مكة في موسم الحج، وأسواق العرب المشهورة، فكان القرشيون يستملحون ما شاءوا، ويصطفون ما راق لهم من ألفاظ الوفود العربية القادمة إليهم من كل صوب وحدب، ثم يصقلونه ويهذبونه، ويدخلونه في دائرة لغتهم المرنة، التي أذعن جميع العرب لها بالزعامة، وعقدوا لها راية الإمامة.

وعلى هذه السياسة الرشيدة نزل القرآن على سبعة أحرف يصطفي ما شاء من لغات القبائل العربية، على نمط سياسة القرشيين، بل أوفق. ومن هنا صح أن يقال: إنه نزل بلغة قريش، لأن لغات العرب جمعاء تمثلت في لسان القرشيين بهذا المعنى، وكانت هذه الحكمة إلهية سامية، فإن وحدة اللسان العام من أهم العوامل في وحدة الأمة، خصوصا أول عهد بالتوثب والنهوض.

ومنها: بيان حكم من الأحكام، كقوله سبحانه: (وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس) (النساء: 12) قرأ سعد بن أبي وقاص: " وله أخ أو أخت من أم " بزيادة لفظ: " من أم "، فتبين بها أن المراد بالإخوة في هذا الحكم الإخوة للأم دون الأشقاء، ومن كانوا لأب، وهذا أمر مجمع عليه.

ومثل ذلك قوله سبحانه في كفارة اليمين: (فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة) (المائدة: 89)، وجاء في قراءة: " أو تحرير رقبة مؤمنة " بزيادة لفظ " مؤمنة " فتبين بها اشتراط الإيمان في الرقيق الذي يعتق كفارة يمين.

وهذا يؤيد مذهب الشافعي، ومن نحا نحوه في وجوب توافر ذلك الشرط.

ومنها: الجمع بين حكمين مختلفين بمجموع القراءتين، كقوله تعالى: (فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن) (البقرة: 222) قرئ بالتخفيف والتشديد في حرف الطاء من كلمة "يطهرن"، ولا ريب أن صيغة التشديد تفيد وجوب المبالغة في طهر النساء من الحيض، لان زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، أما قراءة التخفيف، فلا تفيد هذه المبالغة، ومجموع القراءتين يحكم بأمرين: أحدهما: أن الحائض لا يقربها زوجها حتى يحصل أصل الطهر، وذلك بانقطاع الحيض. وثانيهما: أنها لا يقربها زوجها أيضا إلا إن بالغت في الطهر، وذلك بالاغتسال، فلا بد من الطهرين كليهما في جواز قربان النساء، وهو مذهب الشافعي، ومن وافقه أيضا.

ومنها: الدلالة على حكمين شرعيين، ولكن في حالين مختلفين، كقوله تعالى في بيان الوضوء: (فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين) (المائدة: 6) قرىء بنصب لفظ " أرجلَكم "، وبجرها، فالنصب يفيد طلب غسلها، لأن العطف حينئذ يكون على لفظ " وجوهكم " المنصوب، وهو مغسول، والجر يفيد طلب مسحها، لأن العطب حينئذ يكون على لفظ " رءوسكم " المجرور، وهو ممسوح.

وقد بين الرسول ﷺ: أن المسح يكون للابس الخف، وأن الغسل يجب على من لم يلبس الخف.

ومنها: دفع توهم ما ليس مرادا: كقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله) (الجمعة: 9) وقرئ: " فامضوا إلى ذكر الله "، فالقراءة الأولى يتوهم منها وجوب السرعة في المشي إلى صلاة الجمعة، ولكن القراءة الثانية رفعت هذا التوهم، لأن المضي ليس من مدلوله السرعة، ومنها: بيان لفظ مبهم على البعض: نحو قوله تعالى: (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) (القارعة 5) وقرئ: "كالصوف المنفوش"، فبنيت القراءة الثانية أن العهن هو الصوف.

ومنها: تجلية عقيدة ضل فيها بعض الناس: نحو قوله تعالى في وصفه الجنة وأهلها:

(وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا) (الإنسان: 20) جاءت القراءة بضم الميم، وسكون اللام في لفظ: " وملكا كبيرا "، وجاءت قراءة أخرى بفتح الميم، وكسر اللام في هذا اللفظ نفسه، فرفعت هذه القراءة الثانية نقاب الخفاء عن وجه الحق في عقيدة رؤية

المؤمنين لله - تعالى - في الآخرة، لأنه سبحانه - هو الملك وحده في تلك الدار: (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) (غافر: 16).

* والخلاصة: أن تنوع القراءات، يقوم مقام تعدد الآيات، وذلك ضرب من ضروب البلاغة، يبتدئ من جمال هذا الإيجاز، وينتهي إلى كمال الإعجاز.

أضف إلى ذلك ما في تنوع القراءات من البراهين الساطعة، والأدلة القاطعة على أن القرآن كلام الله، وعلى صدق من جاء به وهو رسول الله ﷺ، فإن هذه الاختلافات في القراءة على كثرتها لا تؤدي إلى تناقض في المقروء وتضاد، ولا إلى تهافت وتخاذل، بل القرآن كله على تنوع قراءاته، يصدق بعضه بعضا، ويبين بعضه بعضا، ويشهد بعضه لبعض، على نمط واحد في علو الأسلوب والتعبير، وهدف واحد من سمو الهداية والتعليم، وذلك - من غير شك - يفيد تعدد الإعجاز بتعدد القراءات والحروف.

ومعنى هذا: أن القرآن يعجز إذا قرئ بهذه القراءة، ويعجز أيضا إذا قرىء بهذه القراءة الثانية، ويعجز أيضا إذا قرئ بهذه القراءة الثالثة، وهلم جرا. ومن هنا تتعدد المعجزات بتعدد تلك الوجوه والحروف!

ولا ريب أن ذلك أدل على صدق محمد ﷺ، لأنه أعظم في اشتمال القرآن على مناح جمة في الإعجاز وفي البيان، على كل حرف ووجه، وبكل لهجة ولسان: (ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم) (الأنفال: 42).

ولقد كان الثعالبي - رحمه الله - يكثر من إيراد القراءات متواترة وشاذة، وكان معتمده الأول على تفسير ابن عطية، فكان ينقل منه مواضع القراءات ووجوهها.

ومن أمثلة نقله للقراءات:

1 - في قوله تعالى: (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) (البقرة: 184) قال:

قرأ باقي السبعة غير نافع وابن عامر: "فدية" بالتنوين، "طعام مسكين" بالإفراد. قال: "وهي قراءة حسنة..".

2 - في قوله تعالى: (فاذكروا اسم الله عليها صواف) (الحج: 36) قال: وقرأ ابن مسعود، وابن عمر، وابن عباس، وغيرهم: " صوافن " جمع: صافنة، وهي التي رفعت إحدى يديها بالعقل، لئلا تضطرب، ومنه في الخيل: (الصافنات الجياد) (ص: 31).

3 - وفي قوله تعالى: (وامسحوا برءوسكم وأرجلكم) (المائدة: 6) قال: وقرأ حمزة وغيره: " وأرجلكم " بالخفض، وقرأ نافع وغيره بالنصب، والعامل " اغسلوا ". ومن قرأ بالخفض، جعل العامل أقرب العاملين. وجمهور الصحابة والتابعين على أن الفرض في الرجلين الغسل، وأن المسح لا يجزئ... ثم قال: قال ابن العربي في " القبس ": ومن قرأ " وأرجلكم " بالخفض، فإنه أراد المسح على الخفين، وهو أحد التأويلات في الآية.

4 - ثم يحتج ببعض القراءات الشاذة على تعضيد المعنى، مثل ما ذكره عند قوله تعالى: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم...) الآية (التوبة: 128) قال: وقوله: (من أنفسكم) يقتضي مدحا لنسبه ﷺ ، وأنه من صميم العرب وشرفها، وقرأ عبد الله بن قسيط المكي " من أنفسكم " - بفتح الفاء - من النفاسة، ورويت عن النبي ﷺ .

ثامنا: احتجاجه بالشعر:

الشعر ديوان العرب، ففيه تاريخهم، وآثارهم، وبه يفتخرون، ويمتدحون، ويرغبون، ويرهبون، ولم لا وهم قوم الفصاحة والبيان، وقد قال النبي ﷺ: " إن من البيان لسحرا، وإن من الشعر لحكمة ".

وقد مضى سلف الأمة من المفسرين على الاحتجاج بأشعار العرب، وما قصة نافع بن الأزرق مع ابن عباس ببعيدة عن ذلك.

وقد ذكرت أقوال كثيرة عن ابن عباس تدل على جواز الاحتجاج بالشعر في تفسير الكتاب العزيز، منها: الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب، رجعنا إلى ديوانه، فالتمسنا معرفة ذلك منه.

ومن سؤالات نافع ونجدة بن عويمر، أنهما قالا: أخبرنا عن قوله تعالى: (عن اليمين وعن الشمال عزين) (المعارج: 37)، قال العزون: الحلق الرقاق، قال: وهل تعرب العرب ذلك؟ قال نعم. أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول: (الوافر):

فجاؤوا يهرعون إليه حتى * * يكونوا حول منبره عزينا

وهكذا كانت إجابات ابن عباس، قال أبو عبيد في فضائله: حدثنا هشيم، عن حصين بن عبد الرحمن، عن عبد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس، أنه كان يسأل عن القرآن، فينشد فيه الشعر.

ومن هنا وجدنا الإمام الثعالبي يستشهد بأشعار العرب، فمن ذلك:

1 - احتجاجه لقراءة ابن كثير (أتيتم) (البقرة: 233) بمعنى فعلتم - بقول زهير:

(الطويل) وما كان من خير أتوه فإنما * توارثه آباء آبائهم قبل.

2 - واحتجاجه لمعاني بعض الألفاظ، مثل قوله تعالى: (وكان الله على كل شئ مقيتا) (النساء: 85). فقال: مقيتا: معناه: قديرا، ومنه قول الزبير بن عبد المطلب:

(الوافر) وذي ضغن كففت النفس عنه * وكنت على إساءته مقيتا ومنه: احتجاجه على أن من معنى " الجهالة " أن يتعمد الأمر فيركبه، مع عدم مضادة للعلم قال: فمنها قول الشاعر: (الوافر):

ألا لا يجهلن أحد علينا * * فنجهل فوق جهل الجاهلينا.

3 - ومنه احتجاجه على المسائل النحوية، فمثلا في قوله تعالى: (والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم) (الحشر: 9) يقول نقلا عن الصفاقسي: " والإيمان " منصوب بفعل مقدر، أي: واعتقدوا الإيمان، فهو من عطف الجمل، كقوله: (الرجز) علفتها تبنا وماء باردا....

وهذا بالإضافة إلى شعر الزهد والرقائق الذي ضمنه تفسيره، والذي يقرؤه القارئ الكريم، فيستشعر عذوبته ورقته، وحسن اختياره ومكانه.

تاسعا: موقفه من الإسرائيليات:

بادئ ذي بدء، فإن الجنس البشري مر عليه قرون عديدة، وأزمان بعيدة، حملت في طياتها أخبارا، وأحوالا، وتارة أهوالا، فأخبر بها السلف الخلف، والمتقدم المتأخر.

وإن هذه الأمة المباركة هي الآخرة في تلك السلسلة المديدة من عمر البشرية، فكان لها زبدة الأخبار، والرصيد الأكبر من تواريخ الأمم والشعوب، فحضيت بالعبر والعظات، والسعيد من وعظ بغيره.

ولأن أهل الكتاب كانوا سابقين علينا، فقد روي لنا، ورووا هم من أخبارهم وأخبار السابقين، وفي هذا يقول نبينا محمد ﷺ : "... وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ".

فكان ما أخبرونا على ثلاثة أقسام:

1 - قسم صدقهم فيه الوحي، فنصدقهم فيه.

2 - قسم أكذبهم فيه الوحي، فنكذبهم فيه.

3 - قسم سكت عنه، فنسكت عنه، ونقول: آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم.

ولكن ما المقصود بـ " الإسرائيليات "؟!!

الإسرائيليات: جمع إسرائيلية، نسبة إلى بني إسرائيل، والنسبة في مثل هذا تكون لعجز المركب الإضافي لا لصدره، وإسرائيل هو: يعقوب - عليه السلام - أي: عبد الله، وبنوا إسرائيل هم: أبناء يعقوب، ومن تناسبوا منهم فيما بعد، إلى عهد موسى، ومن جاء بعده من الأنبياء، حتى عهد عيسى - عليه السلام - وحتى عهد نبينا محمد ﷺ .

وقد عرفوا - "باليهود"، أو "يهود" من قديم الزمان، أما من آمنوا بعيسى: فقد أصبحوا يطلق عليهم اسم "النصارى"، وأما من آمن بخاتم الأنبياء: فقد أصبح في عداد المسلمين، ويعرفون بمسلمي أهل الكتاب".

وقد أكثر الله من خطابهم ببني إسرائيل في القرآن الكريم تذكيرا لهم بأبوة هذا النبي الصالح، حتى يتأسوا به، ويتخلقوا بأخلاقه، ويتركوا ما كانوا عليه من نكران نعم الله عليهم، وعلى آبائهم، وما كانوا يصفون به من الجحود، والغدر، واللؤم، والخيانة، وكذلك ذكرهم الله - سبحانه - باسم اليهود في غير ما آية. وأشهر كتب اليهود هي: التوراة، وقد ذكرها الله في قوله تعالى: (الم * الله لا إله إلا هو الحي القيوم * نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل * من قبل

هدى للناس وأنزل الفرقان) (آل عمران: 1 - 4). وقال: (إنا أنزلناه التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء..) (المائدة: 44) والمراد بها: التوراة التي نزلت من عند الله قبل التحريف والتبديل، أما التوراة المحرفة المبدلة، فهي بمعزل عن كونها كلها هداية، وكونها نورا، ولا سيما بعد نزول القرآن الكريم، الذي هو الشاهد والمهيمن على الكتب السماوية السابقة، فما وافقه فهو حق، وما خالفه فهو باطل. ومن كتبهم أيضا: الزبور، وأسفار الأنبياء، الذين جاءوا بعد موسى - عليه السلام - وتسمى التوراة، وما اشتملت عليه من الأسفار الموسوية وغيرها (بالعهد القديم).

وكان لليهود بجانب التوراة المكتوبة التلمود، وهي التوراة الشفهية، وهو مجموعة قواعد ووصايا وشرائع دينية وأدبية، ومدنية، وشروح، وتفاسير، وتعاليم، وروايات كانت تتناقل وتدرس شفهيا من حين إلى آخر... وقد اتسع نطاق الدرس والتعليم فيه إلى درجة عظيمة جدا، حتى صار من الصعب حفظه في الذاكرة، ولأجل دوام المطالعة، والمداولة، وحفظا للأقوال والنصوص، والآراء الأصلية المتعددة والترتيبات، والعادات الحديثة، وخوفا من نسيانها وفقدانها، مع مرور الزمن، وخصوصا وقت الاضطهادات، والاضطرابات، قد دونها الحاخامون بالكتابة سياجا للتوراة، وقبلت كسنة من سيدنا موسى عليه السلام.

ومن التوراة وشروحها، والأسفار وما اشتملت عليه، والتلمود وشروحه، والأساطير والخرافات، والأباطيل التي افتروها، أو تناقلوها عن غيرهم: كانت معارف اليهود وثقافتهم، وهذه كلها كانت المنابع الأصلية للإسرائيليات التي زخرت بها بعض كتب التفسير، والتاريخ والقصص والمواعظ، وهذه المنابع إن كان فيها حق، ففيها باطل كثير، وإن كان فيها صدق، ففيها كذب صراح، وإن كان فيها سمين ففيها غث كثير، فمن ثم انجر ذلك إلى الإسرائيليات، وقد يتوسع بعض الباحثين في الإسرائيليات، فيجعلها شاملة لما كان من معارف اليهود، وما كان من معارف النصارى التي تدور حول الأناجيل وشروحها، والرسل و سيرهم، ونحو ذلك، وإنما سميت إسرائيليات، لأن الغالب والكثير منها إنما هو من ثقافة بني إسرائيل، أو من كتبهم ومعارفهم، أو من أساطيرهم وأباطيلهم.

والحق: أن ما في كتب التفسير من المسيحيات، أو من النصرانيات هو شئ قليل بالنسبة إلى ما فيها من الإسرائيليات، ولا يكاد يذكر بجانبها، وليس لها من الآثار السيئة ما للإسرائيليات، إذ معظمها في الأخلاق، والمواعظ، وتهذيب النفوس، وترقيق القلوب[1].

والملاحظ أن الثعالبي - رحمه الله - كغيره من التفاسير - ذكر بعض الإسرائيليات، ولكنه يعقب ما يذكره بما يفيد عدم صحته، أو على الأقل بما يفيد عدم القطع بصحته.

ومن ذلك في قوله تعالى: (فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون) (الأعراف: 190).

فالثعالبي يقول: "... وروي في قصص ذلك أن الشيطان أشار على حواء أن تسمي هذا المولود عبد الحارث، وهو اسم إبليس، وقال لها: إن لم تفعل قتله، فزعموا أنهما أطاعاه.... ثم ذكر القصة وقال: قلت: وينزه آدم وحواء عن طاعتهما لإبليس، ولم أقف بعد على صحة ما روي من هذه القصص، ولو صح لوجب تأويله... قال: وعلى كل حال: الواجب التوقف والتنزيه لمن اجتباه الله، وحسن التأويل ما أمكن، وقد قال ابن العربي في توهين هذا القول وتزييفه: وهذا القول ونحوه مذكور في ضعيف الحديث في الترمذي وغيره، وفي الإسرائيليات التي ليس لها ثبات، ولا يعول عليها من له قلب...إلخ ".

ومنه أيضا عند تفسير قوله تعالى: (وتفقد الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين) [النمل: 20].

---

1 ـ ينظر: " الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير "، د. محمد محمد أبو شهبة، ط. مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة 1404 هـ، ص 21 فما بعدها.

يقول: وأكثر بعض الناس في قصصها بما رأيت اختصاره، لعدم صحته.

ونراه ينتقد ما يروى من آثار إذا خالفت الشرع، أو ما لا يليق أن ينسب إلى الوحي.

فمثلا عند تفسير قوله تعالى: (وما أرسلنا من قبلك من رسول و لا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته) [الحج: 52] - يذكر حديث الغرانيق، ثم يحكي عن أئمة المالكية مثل القاضي عياض، وأبي بكر بن العلاء إنكارهم لهذه الرواية، وأمثالها، ثم قال: قال أبو بكر البزار: هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ بإسناد متصل يجوز ذكره... " و قد أجمعت الأمة على عصمته ﷺ، و نزاهته عن مثل هذا.

ومنه أيضا ما ذكره في قصة بني إسرائيل لما سألوا عيسى ابن مريم مائدة من السماء [المائدة: 113 - 115]، ثم قال: وأكثر الناس في قصص المائدة مما رأيت اختصاره، لعدم سنده.

و على أية حال، فإن الملاحظ على الثعالبي - رحمه الله - ندرة إيراده للإسرائيليات جدا، فإن أورد بعض ذلك نبه عليه، كما تقدم.

ـ خلاصة القول في ترجمة الثعالبي:

القول المختصر في منهج الثعالبي (785ـ 876هـ)

* **اسم المفسر:** أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي المالكي الجزائري.

* **اسم تفسيره:** الجواهر الحسان في تفسير القرآن.

* **عقيدته:** من أهل السنة الجماعة، عقيدته عقيدة (أشعرية) بمصطلح العصر، ينقل عبارات ابن عطية ويقرها.

* **الوصف العام للتفسير:**

يقول مؤلفه إنه: اختصره من تفسير ابن عطية وزاد عليه من الفوائد التي التقطها من قريب مائة تأليف من كتب الأئمة المشهورين (وبعضها لا يوجد مطبوعاً الآن)، ولم ينقل شيئاً منها بالمعنى خوفاً من الوقوع في الزلل، وذكر أن ما نقله عن الطبري فمن اختصار الشيخ أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن أحمد اللخمي النحوي، وذكر أن كل ما آخره "انتهى" فليس من كلام ابن عطية وإنما هو مما انفرد بنقله عن غيره، وجعل علامة "ت" بدلاً من قوله: "قلت"، وعلامة "ع" إشارة إلى ابن عطية، وعلامة "ص" إشارة إلى مختصر الصفاقسي لتفسير أبي حيان، وما زاده عليه الصفاقسي عليه علامة "م".

فهو كتاب جامع لخلاصات كتب مفيدة، ليس فيه حشو أو إملال.

* **موقفه من الأحاديث والأسانيد:**

ينقل عن الكتب الستة والأذكار للنووي والترغيب والترهيب للمنذري والتذكرة للقرطبي و"العاقبة" لعبدالحق الأشبيلي و"مصابيح السنة" للبغوي، وغيرها بلا إسناد غالباً، وبعضها بلا عزو لمصدر، بل يصدره بقوله: رُوي عن عائشة رضي الله عنها كذا وكذا.. أو قال رسول الله ﷺ .

* **موقفه من الأحكام الفقهية:**

يذكر أقوال الفقهاء من السلف في المسائل الفقهية وخصوصاً مذهب مالك، وذلك باختصار، ويرجح في بعض الأحيان.

* **موقفه من اللغة والنحو والشعر:**

يهتم بهذا الجانب في كتابه، فيعرب كثيراً من المواضع في القرآن نقلاً عن ابن عطية ومن مختصر الصفاقسي لأبي حيان، ويذكر الشواهد الشعرية للألفاظ القرآنية.

*** موقفه من القراءات:**

يذكر القراءات السبع في كتابه والشاذة أيضاً أحياناً.

*** موقفه من الإسرائيليات:**

يذكر بعض الروايات الإسرائيلية، ويتعقبها بما يفيد عدم صحتها، أو عدم القطع بصحتها.

من مصنفاته:

- أربعين في إغاثة الملهوف.
- الإرشاد في مصالح العباد .
- التقاط الدرر .
- الأنوار في آيات النبي المختار .
- الأنوار المضية في الشريعة والحقيقة .
- تحفة الأخوان في إعراب بعض آي القرآن.
- جامع المهات في الفقه .
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن.
- الدر الفائق المشتمل على أنواع الخيرات والأذكار والدعوات .
- الذهب الإبريز في غرائب القرآن العزيز.
- روضة الأنوار ونزهة الأخيار .
- رياض الصالحين.
- العلوم الفاخرة في النظر بأمور الآخرة .
- قطب العارفين في التصوف .
- شرح مختصر ابن الحاجب.

20 . محمد بن أبي القاسم بن محمد بن عبد الصمد، أبو عبد الله المشذالي (..- 866 هـ/..- 1462م):

مفتي بجاية وخطيبها. نسبته إلى مشذالة، من قبائل زواوة، ومولده ووفاته في بجاية. و قيل كنيته أبو الفضل وبها عرف عند أهل المشرق: مفسر، عالم بالحديث ورجاله، أصولي فرضي فقيه، من أشهر علماء المالكية في عصره؛ ولد ببجاية، وتعلم بها وبتلمسان ثم تصدر للإقراء والتدريس وفي سنة: (849هـ/1441م) ثم دخل عنابة وقسنطينة وتونس، ثم توجه إلى المشرق عن طريق قبرص، فدخل بيروت ودمشق وطرابلس الشام وحماه، وسكن بيت المقدس مدة.

وحج سنة 849هـ، ثم دخل القاهرة، ودرس بها فبهر العقول وأدهش الألباب؛ ولقي الإمام السخاوي[1] الذي خصه بترجمة وافية في كتابه: حيث قال " وقد حصلت بيننا اجتماعات وصحبة ورأيت منه من حدة الذهن وذكاء الخاطر وصفاء الفكر وسرعة الإدراك وقوة الفهم وسعة الحفظ وتوقد القريحة واعتدال المزاج وسداد الرأي واستقامة النظر ووفور العقل وطلاقة اللسان وبلاغة القول ورصانة الجواب وغزارة العلم وحلاوة الشكل وخفة الروح وعذوبة المنطق ما لم أره من أحد".اهـ

من كتبه:

1 - الضوء اللامع (4 / 384).

- تكملة حاشية الوانوغي على المدونة[1].
- ومختصر البيان لابن رشد.
- والفتاوى[2].

مشواره في الطلب:

ابتدأ في بجاية حفظ القرآن وهو في الخامسة فأكمل حفظه في سنتين ونصف بل حفظ حزب سبح قبل أن يتهجى بغير إقراء أحد له وإنما هو بسماعه ممن يدرسه وتلا للسبع على أبيه والإمام الولي أبي عبد الله محمد بن أبي رفاع ولنافع فقط على الشيخين هرون المجاهد وأبي عثمان سعيد العيسوي وغيرهما وحفظ الشاطبيتين ورحز الخرازي في الرسم والكافية الشافية ولامية الأفعال لابن ملك في النحو والصرف وغالب التسهيل وجميع ألفيته وابن الحاجب الفرعي والرسالة وأرجوزة التلمساني في الفرائض ونحو الربع من مدونة سحنون وطوالع الأنوار في أصول الدين للبيضاوي وابن الحاجب الأصلي وجمل الخونجي والخزرجية في العروض وتلخيص ابن البنا في الحساب وتلخيص المفتاح والديوان لامرئ القيس وللنابغة الذبياني ولزهير بن أبي سلمى ولعلقمة الفحل ولطرفة بن العبد ثم أقبل على التفهم فبحث على أبي يعقوب يوسف الريفي الصرف والعروض ثم على أبي بكر التلمساني في العربية والمنطق والأصول والميقات وعن أبي بكر بن عيسى الوانشريسي أخذ الميقات أيضاً ثم على يعقوب التيروني في النحو ثم على أبي إسحق إبراهيم بن أحمد بن أبي بكر فيه والمنطق ثم على موسى بن إبراهيم الحسناوي في الحساب ثم الحساب أيضاً مع الصرف والنحو والأصلين والمعاني والبيان وعلوم الشرع التفسير والحديث والفقه على أبيه ثم على أبي الحسن علي بن إبراهيم الحسناوي أظنه أخا موسى في الأصلين. ثم رحل في أول سنة أربعين إلى تلمسان فبحث على محمد بن مرزوق ابن حفيد العالم الشهير وأبي القسم بن سعيد العقباني وأبي الفضل بن الإمام وأبي العباس أحمد بن زاغو وأبي عبد الله محمد بن النجار المعروف لشدة معرفته بالقياس ببساطور القياس وأبي الربيع سليمان البوزيدي وأبي يعقوب يوسف بن إسمعيل وأبي الحسن علي بن قاسم وأبي عبد الله محمد البوري وابن أفشوش فعلى الأول في التفسير والحديث والفقه والأصلين والأدب بأنواعه والمنطق والجدل والفلسفيات والطب والهندسة وعلى الثاني الفقه وأصول الدين وعلى الثالث التفسير والحديث والطب والعلوم القديمة والتصوف وعلى الرابع التفسير والفقه والمعاني والبيان والحساب والفرائض والهندسة والتصوف وعلى الخامس في أصول الفقه والمعاني والبيان ومما قرأه عليه مختصر ابن الحاجب الأصلي، وكان مرجع الناس بتلك البلاد في أمر المختصر فكان كما نقله البقاعي عن علي البسطي إذا عرض للشيخ إشكال في الأصول أمر بعض تلامذته أن يذكره بحضرته لعله يحله وعلى السادس في الفقه وكان أعلم الناس به ولكن لم يكن له إلمام بالعربية فأمر بعض تلامذته فقرأ عليه بحضرته شرح الألفية لابن عقيل فصار يعرفها فيما قاله البسطي أيضاً"[3].اهـ

21 . محمد بن قاسم أبو عبد الله الأنصاري التلمساني ثم التونسي المغربي المالكي[4] (..- 894 هـ /..- 1489م):

هو محمد بن قاسم الأنصاري، أبو عبد الله، الرصاع: قاضي الجماعة بتونس ولد بتلمسان، ونشأ واستقر بتونس (831) وعاش وتوفي بها، وله فيها عقب إلى الآن.

---

1 ـ مخطوط في الرباط (317 ج) في فقه المالكية.
2 ـ الأعلام للزركلي (7 / 5).
3 ـ الضوء اللامع (4 / 383).
4 ـ الضوء اللامع (4 / 251)؛ الأعلام للزركلي (7 / 5).

اقتصر في أواخر أيامه على إمامة جامع الزيتونة والخطابة فيه، متصدرا للإفتاء وإقراء الفقه والعربية وأصول الدين والمنطق وغيرها وجمع شرحاً في شرح الأسماء النبوية وآخر في الصلاة على النبي وأفرد الشواهد القرآنية من المغنى لابن هشام ورتبها على السور وتكلم عليها وشرح حدود ابن عرفة وقيل أنه شرع في تفسير وأنه اختصر شرح البخاري.

وعرف بالرصاع لأن أحد جدوده كان نجارا يرصع المنابر.

له كتب، منها:

- التسهيل والتقريب والتصحيح لرواية الجامع الصحيح – (خ).
- و تذكرة المحبين في شرح أسماء سيد المرسلين – (خ).

22 . محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي، التلمساني، الحسني (أبو عبد الله) (832 - 895هـ/1428-1490م):

محدث، متكلم، منطقي، مقرئ، كان عالما بالتفسير والحديث؛ نشأ بتلمسان جمع تلميذه الملالي في أحواله وسيره وفوائده تأليفا كبيرا في نحو سبعة عشر كراسا سماه "بالمواهب القدسية في المناقب السنوسية"[1].

من مصنفاته في التفسير[2]:

- تفسير سورة ص و ما بعدها من السور.
- ومختصر حاشية التفتازاني على الكشاف.
- و تفسير القرآن إلى قوله: "أولئك هم المفلحون".

وله أيضاً[3]:

- حاشية على صحيح مسلم[4].
- شرح عجيب على البخاري لم يكمله.
- وحاشية لطيفة على مشكلاته.
- شرح ايساغوجي في المنطق.
- شرح قصيدة الحباك في الاسطرلاب.
- مصنف في مناقب الأربعة رجال المتأخرين.
- أم البراهين في العقائد.

23 ـ محمد بن عبد الجليل بن عبد الله التنسي التلمساني (832هـ ـ هـ):

الإمام المحدث الحافظ القريء الفقيه الأديب، المؤرخ، الناظم، أبو عبد الله محمد بن عبد الجليل بن عبد الله التنسي التلمساني، ولد بمدينة تنس، قال السخاوي في ترجمته رقم: 274: " بلغني في سنة ثلاث وتسعين بأنه حي مقيم بتلمسان جاز الستين"، ولما كان السخاوي قد فرغ من تبييض كتابه في ربيع الآخر من سنة 896هـ، كما هو معروف، يكون ولد بين عامي: (832 ـ 834هـ).

---

1 ـ ينظر: معجم المطبوعات (1 / 1058).
2 ـ معجم المفسرين 656/2.
3 ـ ينظر: فهرس الفهارس (2 / 999)؛ ينظر: معجم المؤلفين (12 / 132).
4 ـ قال المشدالي: " هو من أحسن الشروح وانفعها " اهـ قال عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني قلت: اختصر فيه " مكمل الإكمال " للآبي وهو مطبوع.

شيوخه وطلبه للعلم:

أول شيوخه هو والده عبد الجليل الذي حفظ على يديه القرآن الكريم وعلوم العربية وآدابها، والحديث الشريف، انتقل بعدها إلى حاضرة الزيانيين مدينة تلمسان، حث قرأ التفسير، والقراءات والحديث والفقه عن علماء أجلاء منهم ابن مرزوق الحفيد الإمام الحبر أبي الفضل محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد[1]، والولي أبي أسحاق إبراهيم التازي، وأبي الفضل بن الإمام، وأحمد ابن زاغو، وقاسم بن سعيد العقباني، ممن كانت لهم مشاركة في العلوم العقلية والنقلية[2]، وقد انتقل إلى مدينة فأس حيث أخذ عن علمائها، وسافر أيضا إلى المشرق ليستفيد مما يرويه محدثيه وعلمائه.

تلاميذه وسعة علمه:

لقد تخرج على يد الإمام التنسي تلامذة كثيرين، كما حضر دروسه التي كان يلقيها لسنين طويلة في مساجد تلمسان خلق لا يعد ولا يحصى يدل على ذلك قول تلميذه العالم أبو عبد الله ابن الإمام ابن العباس، شيخ شيوخ وقته في تلمسان، من كتبه (شرح لامية الأفعال) لابن مالك، في الصرف، و(شرح جمل الخونجي) في المنطق، و(العروة الوثقى في تنزيه الأنبياء عن فرية الألقا)، و(فتاوي) توفي سنة 871هـ

قال تلميذه هذا عنه: " لازمت مجلس الفقيه العالم الشهير، سيدي التنسي عشرة أعوام، وحضرت إقراءه تفسيرا، وحديثا وفقها وعربية وغيرها".

وتتلمذ عليه الشيخ العلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي الفضل بن سعيد بن سعد الأنصاري، ابن صعد مؤلف (النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب)، ومؤلف (روضة النسرين في مناقب الأربعة المتأخرين)، و(مفاخر الإسلام)، و(في فضل الصلاة على النبي ﷺ)، توفي سنة 901هـ.

ومن تلامذته أيضا حفيد الحفيد ابن مرزوق؛ محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر من مرزوق العجيسي (766 ـ 842هـ /1364 ـ 1438م) عالم بالفقه والأصول والحديث والأدب، له كتب وشروح كثيرة منها، المفاتيح المرزوقية لحل الأقفال واستخراج خبايا الخزرجية)، و(أنواع الذراري في مكررات البخاري)، و(نور اليقين في شرح أولياء الله المتقين)، و(تفسير سورة الإخلاص)، وثلاثة شروح على (البردة)، و(المتجر الربيح في شرح صحيح وغيرها، ومن بين تلاميذه المتصوف الشهير أحمد زروق وغيرهم، هذه الأسماء تدل على علو كعب هذا الإمام سعة علمه.

كما عرف الإمام التنسي باهتمامه الكبير بالأدب شعرا ونثرا، وكثير اهتمامه بالتاريخ، وإذا كان معاصروه والمترجمون له قد انتبهوا لقوة حافظته، ولسعة اطلاعه، ولتبحره في علم الحديث النبوي الشريف، وفي الفقه فإننا نلاحظ أنهم حرصوا كل الحرص على إظهار ميله إلى التاريخ والأدب، مع أن الاهتمام بالمادتين كما هو معروف، كان قليلا في ذلك العصر الذي تغلبت فيه العلوم الدينية والتصوف على الحياة العلمية، فوصف أحمد الونشريسي صاحب (المعيار المعرب، والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقيا والأندلس والمغرب)، وصف الإمام التنسي: "بالفقيه، الحافظ التاريخي، والأديب الشاعر"، وقد أورد المقري أبو العباس أحمد في كتابه (أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، 85/1) كيف أنه كان ينتقد ويعلق على قصائد الشعراء ومنهم

1 ـ قطف الثمر، 111/1.
2 ـ البستان في ذكر أولياء تلمسان، لابن مريم، ص: 248 ـ 249.

الشاعر الأديب ابن الخطيب، قال المقري: "... وكان الفقيه ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الخطيب المذكور آنفا كثيرا ما يوجه إليه بالأمداح (السلطان أبو حمو الزياني).

ثناء العلماء عليه:

لقد احتل الإمام التنسي منزلة رفيعة بين العلماء، تدل على ذلك تلك الألقاب والنعوت التي أطلقها عليه معاصرون، وتلامذته والعلماء الذين ترجموا له، فقد سموه بالحافظ، وأصبحت الكلمة التي تدل على إتقانه لعلوم الحديث وحفظه، مقرونة باسمه، فلم يدع في كتب التراجم، إلا باسم الحافظ التنسي أو بالإمام، كما اختص التنسي بالوصف بالأديب، وبالمؤرخ، وقد سماه تلميذه أحمد بن داود البلوي الأندلسي بـ " بقية الحفاظ، وقدوة الأدباء"، وذكر عن البلوي المذكور أنه لما خرج من تلمسان سئل عن علمائها فقال: " العلم مع التنسي والصلاح مع السنوسي والرياسة مع ابن زكري"، ووصف الونشريسي في المعيار المعرب: " بالحافظ، المحدث الفقيه".

ووصفه الإمام السخاوي بـ " العالم، المصنف"، لما ترجم له في الضوء اللامع: " محمد بن عبد الله التنسي ـ نسبة إلى تنس من أعمال تلمسان ـ المغربي المالكي... مشار إليه بالعلم وله تصانيف".

وقال ابن مريم في ترجمته: " الفقيه الجليل الحافظ الأديب المطلع كان من أكابر علماء تلمسان الجلة ومحققيها".

آثاره:

ترك الإمام التنسي مؤلفات في علوم متعددة تدل على تبحره وسعة علمه منها:

(الطراز في شرح ضبط الخراز)، وهو من أشهر مؤلفاته، وقد أصدر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف طبعة لهذا الكتاب دراسة وتحقيق الدكتور أحمد بن أحمد شرشال جزائري من مدينة شرشال، في فن الضبط وهو علم يعرف به ما يدل على عوارض الحرفن التي هي الفتح والضم والسكون والكسر والشد والمد ونحو ذلك، ويرادف الضبط الشكل.

فهرسته: وفيها ذكر لشيوخه ومروياته، وأثباته وقد ذكرها عبد الحي الكتاني في فهرس الفهارس.

ـ (تعليق على مختصر ابن الحاجب)، وهو كتاب في الفقه من تأليف عثمان بن الحاجب الذي يعتبر من فقهاء المالكية، والعلماء المختصين في دراسة اللغة، وهو في حكم المفقود.

ـ (راح الأرواح) فيما قاله المولى أبو حمو من الشعر، وقيل فيه من الأمداح، وما يوافق ذلك على حسب الاقتراح، جمع فيه القصائد التي قالها الملك الأديب أبو حمو موسى الثاني، من أسرة بني عبد الواد الذي تربع على عرش المغرب الأوسط من سنة 760هـ إلى سنة 791هـ، (1359 ـ 1389م)، كما يضم الكتاب القصائد التي مدح بها هذا الملك، بعض معاصريه من شعراء تلمسان، وقد اشتهر من بينهم محمد بن يوسف القيسي الثغري، ومحمد بن أبي جمعة الشهير بالتلالسي، وهذا الكتاب في حكم المفقود أيضا، لكن أحمد المقري نقل منه نقولا وفقرات طويلة في موسوعته الأدبية (نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب)، وفي كتابه الثاني: (أزهار الرياض).

و(نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان)، وذكر ملوكهم الأعيان، ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزمان، وهو موسوعة تاريخية وأدبية عن تاريخ بني زيان، وتاريخ المغرب الأوسط، ويعتبر المصدر العربي الوحيد، لفترة من تاريخ هذه

الدولة، تزيد على سبعين سنة كما وصفه محققه الدكتور محمود بو عياد مدير المكتبة الوطنية الجزائرية والمستشار الثقافي برئاسة الجمهورية، حيث قال: " وفيما عدا (نظم الدرر) لا يتوفر للمؤرخ، مصدر تاريخي عربي آخر شامل الأخبار، لدراسة تلك الفترة الطويلة نسبيا، من تاريخ دولة بني عبد الواد التي أسسها يغمراسان بن زيان في المغرب الأوسط، على أنقاض دولة الموحدين، وذلك رغم تأخر تلك الحقبة من التاريخ، ورغم قربها من عصرنا.

الطراز في شرح ضبط الخراز:

يعتبر أشهر شروح الضبط للخراز، وأسيرها شرقا وغربا، ولذلك كانت نسخة الخطبة متوافرة، وصفه أبو جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي الآشي تلميذ مؤلفه يقوله: " أجاد فيه وأفاد، وأحسن ما شاء وأراد".

شرح به منظومة: (مورد الضمآن في رسم أحرف القرآن)ن وهو أرجوزة في ضبط رسم القرآن الكريم، وما قام بشرحه محمد التنسي هو قسم من أرجوزة طويلة خصص منها صاحبها الخراز أربعة وخمسين وأربعمائة بيتا للرسم، والباقي وهو أربع وخمسون ومائة بيتا للضبط، ومنظومة أبي عبد الله الشريشي استهلها بقوله:

هذا تمام نظم رسم الخط ** وها أنا اتبعه بالضبط.

كي ما يكون جامعا مفيدا ** على الذ ألفيته معهودا.

وقد شرح الإمام التنسي هذا النظم مستهلا أياه بقوله: " الحمد لله الذي لا ينبغي الحمد إلا له، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث بختم الرسالة صلاة وسلاما يخصان ويعمان أصحابه وآله، وبعد..".

وعلى العموم فإن كتاب الطراز مطابق لاسمه في كونه طرازا عليا في مباحث فن اللنقط والضبط، وقد ناقش مؤلفه أهم مسائله المعتبرة وقارن فيها بين مذاهب أئمة الفن ونبه على القوي والضعيف منها وما تقوم عليه من علة، ولهذا كان عمدة المتأخرين في هذا الشأن، كما اعتمدته اللجان والهيئات المشرفة على طبع المصاحف كما نجد التنبيه عليه في كثير من الملاحق التي ذيلت بها مختلف الطبعات في البلدان الإسلامية.

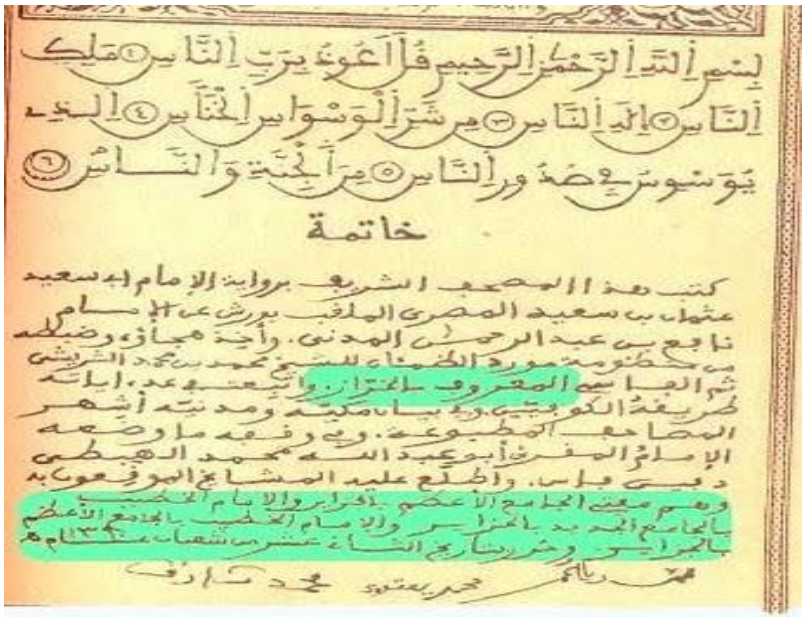
بسم الله الرحمن الرحيم قل أعوذ برب الناس ملك
الناس إله الناس من شر الوسواس الخناس الذي
يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس
خاتمة
كتب هذا المصحف الشريف برواية الإمام أبي سعيد
عثمان بن سعيد المقرئ المعروف بورش عن الإمام
نافع بن عبد الرحمن المدني. وأجيز مجازه وضبطه
من نظومة مورد الظمآن للشيخ محمد بن محمد الشريشي
ثم الفاسي المعروف بالخراز وتبعت عدد آيه
لطريقة الكوفيين وبيان مكيه ومدنيه أشهر
المصاحف المطبوعة. وروعي فيه ما وضعه
الإمام المقرئ أبو عبد الله محمد الهبطي
في فاس. واطلع عليه المشايخ المرقومون به
وهم معتمد الجوامع الأعظم بفاس والإمام الخطيب
بالجامع الجديد بالمنزه والإمام الخطيب بالجامع الأعظم
بالجرايس وشرع في تاريخ الثاء عشر من شعبان عام ١٣٤٠ هـ

وقد كتب على الطراز غير واحد من الأئمة وتعددت الحواشي عليه منها:

ـ حاشية على الطراز لأبي علي الحسن بن يوسف بن محمدي الزياني (ت1023هـ)، المؤلف من أعلام المدرسة المغربية في المائة العاشرة وما يليها، درس بفأس وقرأ القراءات وغيرها على أبي العباس أحمد بن قاسم القدومي (ت992هـ) ونزل جبل (كورت) من بلاد عوف بشمال المغرب، وتوفي هناك.

ـ حاشية على الطراز لأبي العلاء إدريس المنجرة وولده أبي زيد عبد الرحمن أو تعاليق أبي العلاء المنجرة وولده.

ـ طرر على الطراز لعبد الواحد بن عاشر صاحب فتح المنان المروي بمورد الظمآن.

أثنى عليه فيها القادري في نشر المثاني فقال: وله طرر عجيبة على شرح الإمام أبي عبد الله محمد التنسي لذيل مورد الظمآن في الضبط.

وفاته:

توفي الإمام التنسي سنة 899هـ ـ 494م، بمدينة تلمسان، بعد أن عاش حياة كرسها لنشر العلم والتأليف والتدريس، فهو بحق مفخرة من مفاخر الجزائر والعالم الإسلامي، فرحمة الله عليه رحمة واسعة.

24 . محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني[1] (..- 909 هـ /..- 1503م):

هو الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني أبو عبد الله المتوفى سنة 909 مفسر، فقيه، من أهل تلمسان يروي عن الثعالبي ويحيى بن بدير وغيرهما، له فهرسة، وقع نزاع بينه وبين الحافظ جلال الدين السيوطي في علم المنطق.

قال عنه مخلوف: خاتمة الأئمة المحققين والعلماء العاملين مع البراعة والمتقن في العلوم والصلاح والدين المتين.

اشتهر بمناوأته لليهود وهدمه كنائسهم في توات (بقرب تلمسان) ورحل إلى السودان وبلاد التكرور، لنشر أحكام الشرع وقواعده. وتوفي في توات.

وهو من قبيلة مغيلة البربرية التي انتشرت في وهران وتلمسان والمغرب الأقصى، وهي إحدى فروع قبيلة صنهاجة العظيمة، ولد محمد بن عبد الكريم بمدينة تلمسان (790هـ -1425م) من عائلة عريقة اشتهرت بالعلم والدين والشجاعة، وهو من سلالة الياس المغيلي حامل لواء الجهاد مع القائد الإسلامي الخالد طارق بن زياد الليثي فاتح الأندلس، والذي يسمى عليه جبل الفتح، جبل طارق.

تعليمه: حفظ القرآن الكريم وأخذ مبادئ العربية من نحو وصرف وبيان، وقرأ موطأ الإمام مالك وكتاب ابن الحاجب عن والده، كما تلقى العلم عن شيوخ أجلاء نذكر منهم:

- الفقيه بن أحمد بن عيسى المغيلي الشهير بالجلاب التلمساني (ت 875هـ) أخذ عنه التفسير والقراءات والفقه المالكي، فقد ختم على يديه المدونة ومختصر خليل وابن الحاجب والرسالة.
- الشيخ عبد الرحمن بن محمد الحسني التلمساني (826هـ) أخذ عنه التفسير والفقه المالكي.
- الشيخ محمد بن إبراهيم الونشريسي صاحب كتاب المعيار وهو أبو الفضل التلمساني (845هـ).

1 ـ ينظر: معجم أعلام الجزائر ص308.فهرس الفهارس (2 / 573)؛ /الشجرة: 274/1؛ الأعلام للزركلي(6 / 216).

لم تكن معارفه مأخوذة عن علماء تلمسان فقط، بل أيضا على علماء بجاية حيث تلقى عنهم علوما متعددة، منهم على سبيل المثال الشيخ أحمد بن إبراهيم البجائي (ت840هـ) أخذ عنه التفسير والفقه، وكان من تلاميذ هذا الشيخ الجليل سيدي عبد الرحمن الثعالبي.

كما تتلمذ أيضا على يد الشيخ منصور بن علي عثمان أبو علي الزواوي المنجلاتي وهو أحد كبار علماء وفقهاء بجاية.

كما أخذ عن يحيى بن نذير بن عتيق أبو زكرياء التدلسي وهو من كبار فقهاء المالكية.

كما عاصر سيدي محمد المغيلي علماء أجلاء منهم: قاسم بن سعيد العقباني، محمد بن أحمد بن مرزوق، إبراهيم التازي، محمد بن يحيى التلمساني، ابن مرزوق الكفيف، أحمد بن يحيى الونشريسي، ويعد محمد المغيلي ابن تيمية المغرب في جهاده وعلمه، ولم تقتصر حياته على الدعوة والإرشاد، بل تطاولتها إلى المراسلات والمناظرات مع كبار علماء عصره، منهم الإمام السيوطي كما ذكر ذلك ابن مريم في كتابه (البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان).

بعد أن تزود بكثير من العلوم الشرعية عن كبار علماء الجزائر، أم وجهه ناحية الصحراء منطقة أدرار توات، وكان حكام عصره في كل من تلمسان وبجاية لا يحكمون إلا ما تمليه عليهم أنفسهم أمام صمت العلماء، ساخطا على ما آلت إليه الحياة الاجتماعية والاقتصادية، فكانت منطقة تمنطيط بداية لدعوته، واحتضنته قبيلة بني سعيد العربية حيث عاش بينها كواحد من أفرادها، بل أكثر من ذلك مبجلا محترما يدرسهم فيستمعون إليه ويتبعون دعوته.

لم تكن الصحراء الجزائرية خالية من السكان بل كانت عامرة تعج بهم، خصوصا في الواحات، كما أنها لم تكن مقصورة على المسلمين وحدهم، بل كان اليهود يشكلون عنصرا بشريا نافذا وضع يده على منابع المياه واحتكر التجارة، وأكثر من ذلك تجاوز الحدود من خلال تخطيه للقوانين المعمول بها، والتي حددها الإسلام لأهل الذمة من خلال ما هو موجود في الفقه الإسلامي، وبهذه التصرفات خرق اليهود كل العهود والمواثيق، خصوصا عند بناء معبد لهم في واحة تمنطيط، هذا ما جعل الشيخ سيدي محمد المغيلي يشن عليهم حملة شرسة أراد من خلالها أن يعيدهم إلى القوانين التي حددها لهم الإسلام بعد أن أشتكى سكان المنطقة له تصرفات اليهود، وتفاقمت الأزمة أكثر ببناء المعبد اليهودي، وهذا ما رآه سكان المنطقة يخالف الشريعة الإسلامية التي تسمح لهم بترميم معابدهم القديمة فقط، غير أن بعض العلماء المحليين أجاز لهم ذلك وقال: "إن اليهود ذميون، لهم ما لأهل الذمة من الحقوق المنصوص عليها في كتب الفقه"، وهكذا تحولت المسألة إلى جدل فقهي بين علماء المسلمين، وكان من بين من عارض هذا القول بجواز بناء اليهود معابد لهم محمد بن عبد الكريم المغيلي، حيث أصدر فتوى أكد من خلالها: "أن سيطرة اليهود على عموم نواحي الحياة، ولهذا يجب محاربتهم وهدم كنائسهم وكسر شوكتهم" وقد أثارت هذه الفتوى ردود فعل كثيرة في أوساط معاصريه بين مؤيد ومعارض .

ولم تبق القضية متداولة بين الفريقين، بل راسل كل منهما أكبر علماء العصر في الحواضر المغاربية كتلمسان وفاس وتونس، فكان ممن عارض المغيلي علماء تلمسان وفاس وعلى رأسهم عبد الرحمن بن يحيى العصنوني وقاضي توات أبو محمد عبد الله بن أبي بكر الأسنوني، وممن أيد المغيلي من العلماء الفقيه محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي مؤلف كتاب "الطراز على ضبط الحراز" في القرآن الكريم، ومحمد بن يوسف السنوسي، وأبو عبد الله التلمساني الحسني، وأحمد بن زكري المانويو مفتي تلمسان أبو العباس المغراوي، وفور وصول هذه الفتاوى من هؤلاء العلماء لواحة تمنطيط حمل المغيلي وأنصاره السلاح وانقضوا على معابد اليهود فدمروها تدميرا .

رحـــلته إلـــى إفريقية:

بعد انتصاره على اليهود وكسر شوكتهم بمنطقة تمنطيط، توجه المغيلي إلى مناطق السودان الغربي داعيا وواعظا ومدرسا وقاضيا ومفتيا، وقد قربه أمراء السودان إليهم فنصح لهم، وقد تجول الإمام المغيلي في مدن إفريقية كثيرة، منها "كانو" و"كشنة" في شمال النيجر، و"كاغو" الواقعة في مالي، و"تكده" التابعة للنيجر، وغيرها من المدن والبلاد الواقعة بين نهر السنغال والنيجر، كما أرسل بعثات إلى بلاد "جما جند".

استقبله الأفارقة في هذه المناطق بالحفاوة والترحاب، وقربه أمراؤها وملوكها وجعلوا منه مستشارا ومرجعا فقهيا، وكتب لهم رسائل ووصايا وفتاوى في أمور الحكم والدولة والسياسة الشرعية.

بقي هذا العالم الجليل خالدا في ذاكرة الأفارقة، وظلت أعماله وآثاره يحفظها العلماء، بعد هذه الحياة الحافلة بالجهاد رحل الإمام محمد المغيلي إلى الحج، وأدى الفريضة ورجع قافلا إلى مدينة توات، ولم ينس اليهود ما فعله بهم فانتقموا منه وأغتالوا ولده البكر عبد الجبار، عمل بتوات مدرسا حيث قصده طلبة العلم والعلماء من كل صوب، لينتقل إلى رحمة ربه في سنة 909 من هجرة الرسول المباركة[1].

وفي العصر الحديث لم ينس اليهود الذين توغلوا في الحكم الفرنسي، ففي سنة 1958 وما بعدها قامت فرنسا بإيعاز من اللوبي اليهودي بالتجارب النووية في منطقة توات برقان انتقاما من أحفاد المغيلي، وضلت التجارب حتى سنة 1967م، وفق اتفاقيات إيفيان التي تسمح ببقاء القواعد الفرنسية خمسة سنوات بعد الاستقلال، وبدأت التجارب النووية برقان بداية من تجربة اليربوع الأزرق واليربوع الأبيض، وهو رمز العلم الإسرائيلي سنة 1958م.

فالحقد اليهودي ظل يدرسه اليهود لأولادهم وأحفادهم لينتقموا من المغيلي الذي أفتى بقتلهم وتشريدهم، لأنهم خرجوا عن عهد أهل الذمة، وعاثوا في الأرض الفساد.

لم ينس اليهود تاريخهم، بينما نحن نسينا تاريخنا.

له كتب، منها:

- البدر المنير في علوم التفسير.
- مصباح الأرواح في أصول الفلاح.
- والتعريف، فيما يجب على الملوك – (خ) لعله رسالته المساماة (تاج الدين، فيما يجب على الملوك والسلاطين).
- وأحكام أهل الذمة – (خ).
- مغني النبيل وهو شرح مختصر خليل في فقه المالكية.
- الكيل المغني.
- شرح بيوع الآجال، من ابن حاجب.
- كتاب في المنهيات.
- مختصر تلخيص المفتاح.
- تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين.
- كتاب الفتح المبين.
- فهرست.

1 ـ انظر ترجمته: في نيل الابتهاج، للتنبكتي، ص: 576-579، والأعلام، للزركلي، 84/7.

- ومفتاح النظر في علم الحديث.
- ومنح الوهاب - (خ). منظومة في المنطق.
- له شرح عليها سماه (إمناح الأحباب من منح الوهاب) في دار الكتب.
- وله نظم، منه قصيدة عارض بها البردة. وغير ذلك.

25 . محمد بن عبد الرحمن أبي يحي بن أبي العيش الخزرجي أبو عبد الله التلمساني[1] (...911هـ/...-1505م):

مفسر أصولي أديب شاعر من فقهاء المالكية، أصله من أشبيلية بالأندلس. ولد ونشأ وتعلم بتلمسان ثم أفتى ودرس، وفتويه معروفة نقل بعضها الونشريسي في كتابه المعيار. توفي في صفر سنة إحدى عشرة وتسعمائة.

26 . عليّ بن موسى بن عليّ ابن موسى بن هارون أبو الحسن ، المطغري[2] (...- 951 هـ / ... - 1545م):

وبه عرف، من مطغرة تلمسان، الإمام العلامة المؤرخ المتفنن مفتي فاس وخطيب جامع القرويين، انتقل من تلمسان جده عام 818 وسكن فاساً وأخذ المترجم بها عن ابن غازي، وكان قارئه في أكثر دروسه ولازمه 29 سنة وأجازه عامة، وأخذ أيضاً عن أبي العباس الونشريسي والقاضي المكناسي وأدرك أبا مهدي الماواسي وأبا الفرج الطنجي، وتوفي بفاس سنة 951 هـ وقد ناف على الثمانين.

أروي ما له من طريق أبي العباس المقري عن عمه سعيد بن محمد المقري التلمساني عنه. ح: ومن طريق المنجور عنه. وقال في فهرسته لما ترجمه: إفاداته كثيرة لا ساحل لها كأنه لا يتنفس إلا بفائدة، وأما حفظه لأخبار من أدركه من العامة شيوخاً وعجائز وغيرهم فخارجة عن الحصر، ولم يخلف بعده في فنه مثله " .

---

1 - معجم المفسرين 799/2.
2 - فهرس الفهارس (2 / 1105).